المملكة العربيــــة السعوديــة
وزارة التعــــليم العــالي
جــامعة أم القــرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز بحوث الدراسات الإسلامية
مكة المكرمة

سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية



الباسك

إعداد الدكتورة
وفاء عبد الله سليمان المزروع
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الاسلامي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥ م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
المزروع ، وفاء عبد الله
الباسك .
... ص ؛ سم (أبحاث ودراسات مركز الدراسات الإسلامية)
ردمك ٤ ـ ١٦ . ـ ٣ ٠ ـ ٩٩٦٠
ردمد ١٣١٩ ـ ٣٧١٦
١ ـ الأندلس ـ تاريخ ٢ ـ الباسك . تاريخ أ ـ العنوان ب ـ السلسلة
ديوي ٩٥٣,٠٧ ١٥ / ١٧٥٧
رقم الإيداع : ١٥ / ١٧٥٧
ردمك ٤ ـ ١٦ . ـ ٣ ٠ ـ ٩٩٦٠
ردمد ١٣١٩ ـ ٣٧١٦


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة

درج الباحثون الذين يدرسون تاريخ الباسك على دراسة المناطق الجغرفية التي كانوا يعيشون فيها ، لما لهذه البيئة من انعكاس على اخلاقهم وعاداتهم واسلوب حياتهم ، وتحديد الفترة التي يتعرضون إليها بالدراسة .

ولما كان الباسك قد بدأ ظهورهم في مناطق الجبال الوعرة التي تقع غرب جبال البرتات ، وعرفوا بأنهم سكان بلاد النافار (نبره) التي تقع شرق مملكة ليون محازية لجبال البرتات ، واتخذوا من بمبلونه التي تقع غرب الأندلس خلف جبال الشارات قاعدة لهم .

ونظراً لاستقلالهم وعزلتهم عن الشعوب الأخرى كانت لهم لغة مميزة لا تنتمي إلى اللغة الهندو أوروبيه ، وغير ذات صلة بأي لغة من لغات أوربا .

وعرف هؤلاء بعدة أسماء منها الباسك ، والبشكنس والفاسكون والنافاريون .

والحديث عنهم لا يخلو من المصاعب والغموض فحتى القرن ١١ م لا توجد لدينا أي مصادر معتمدة تحدثنا عنهم وكل ما هنالك مجموعة من الوثائق كتبت بواسطة رجال الدين والرهبان والتي لا تخلو من التزييف والتحريف والمبالغة ، والتي أظهرتهم أنهم من الشعوب التي قاومت الأمبراطورية الرومانية بكل شراسة ووحشية ويتضح تاريخ الباسك إلى حد ما بظهور الدولة الإسلامية في الأندلس وبداية عصر الجهاد المنظم الذي بداه الولاة منذ فترة مبكرة من بداية الفتح الإسلامي ، وهذا ما سنتناوله الدراسه حتى عام ٣٦٦هـ .

والله ولي التوفيق .

Abstract :

Researchers who are interested in tracing the history of Basques , used to study the geographical areas in which those races lived, for the importance of the environment in reflecting the behaviours, the customs and the life sytyle of those people also used to specify the period which is the concern of this study .

Basques first appeared in lands that are full of rocky mountains (which are located in the west of Pyrenees mountains) and were known as the inhabitants of Navarre (which is situated in the east of the Kingdom of Leon) that is parallel to the mountains of Pyrenees . Theyused the city of Pamplona (which is located in the west of Al-Andlus behind the mountains of Sierras) as base for them .

Since Basques were independent and isolated from the other races . they had there own language which did not belong to the Indo-European language nor did it have any relation with any other European languages .

Basques had some other names like , Vascones and Navarres and writing about them involves some difficulty and obscurity , since reliable sources about them were unabailable until the eleventh century . In fact all one could get was a group of documents that were written by clergymen and priests and were either forged , misinterpreted or exaggerated . Those documents proved that Basques wee savage and brutal races that could resist the Roman Empire . The history of Basques started to become manifest with the appearance of the Islamic state in Al-Andlus ans the beginning of the age of The Organized Jihad which was initiated by Walis as early as the Islamic conquest until the year of 366 Hijry and this what the study will edal with .

تمهيد :-

درج الباحثون الذين يدرسون تاريخ الشعوب على التعرض للمناطق الجغرافية التي يعيشون فيها لما لإثر ذلك على أهلها لذلك أصبح من الضروري عند قيامنا بدراسة تاريخ الباسك أن نتعرض للمناطق التي عاشوا فيها واغلقوها عليهم حتى أصبح من الصعب تحديد جغرافية مناطقهم أكثر من أنها تقع في غرب جبال البرتات[١].

كما أنهم لا يوجد لهم أصول بشرية قديمة سكنت هذه المنطقة فنستطيع من خلالها معرفة ما يتعلق بكثير من أحوالهم .

لذلك سنكتفي بإلقاء الضوء في هذه الدراسة عليهم منذ ظهورهم في العصر الروماني إلى أن توطدت فروع السياسة الأساسية ووضحت كثير من الملامح الراسخة لمجتمعهم ، إلى فترة فتح المسلمين عام ٩٢هـ واستقرارهم في الأندلس حتى عام ٣٦٦هـ.

لذلك فالحديث عن شعب الباسك حديث لا يخلو من المصاعب والغموض فحتى القرن ١١م لا توجد لدينا أدلة واضحة على أعمال المجتمع الباسكي واقتصاده حتى أيام استرابون[٢] .

---

١ - برت وجمعها برتات واصلها كلمة لاتينية Portus وتعني الممر أو الميناء وهي ذات صلة بالكلمة اللاتينية Porta أي الباب أو المدخل ، واستعمل الكتّاب الأندلسيون تسمية الجبال الفرنجية كما سموها ، وجمعت احياناً فقالوا جبال البرت أو جبال البرتات وترجمتها الأبواب .

عبدالرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص٩٦.

أما الرازي : فقد ذكرها (أي جبال البرتات) حين تحدث عن الجبال الأندلسية فقال بعد ذكر جبل قرطبة « أما الجبل الثاني فمبتدؤه عند ساحل البحر الشرقي مقبلا من ناحية اربونه ، وهو الحاجز بين الأندلس وبلاد افرنجه ، والفرنجة تسمية رونشفاله ويبدو موازيًا لبلد بشقايه (الباسك) وبلد اشتريش ومنهاه عند البحر في جليقية من اقصى الشمال .

حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٦٤٠ .

٢ ـ استرابون : ولد سنة ٦٣ ق . م وتوفي بعد ٢١ عام ، جغرافي ومؤرخ يوناني ، درس في آسيا الصغرى واليونان وروما والإسكندرية ، وساح في أوربا وشمال افريقيا وغرب اسيا ، ترك كتابًا في الجغرافية من ١٧ جزءًا غنيًا بالمعلومات عن العالم القديم استند فيه إلى مشاهداته الخاصة وكتابات من سبقه من الجغرافيين . انظر الموسوعة العربية الميسرة ص١٤٨ .

وتعتبر وثائق ليير Liere ومجموعات قشتا له التي عرفت بمجموعات الكاستليانيه Castillian والمجموعات الكتلونيه (قطلونيا) Catalan هي الوثائق التي يمكن الإعتماد عليها في القاء بعض الضوء على الفترة الأولى من حياة الباسك قبل وصل الإسلام إلى شبه جزيرة ايبيريا .

ونتيجة لنقص الوثائق القديمة في تلك المناطق من غرب البرتات أدى إلى قيام الأديرة والكنائس والقائمين بتزييف وتلفيق كثير من الحقائق ، لذلك ينبغي على الدارس لتلك الفترة المبهمة والغامضة والصعبة والتي اختلطت فيها الخرافة بالحقيقة ، من تفسيرات علمية مدروسة مقرونة بشواهد واضحة لتجليه ذلك اللبث والغموض ، وهذا من الصعب توفره لقله المعلومات ، واكتفاء الدارسين ببعض الإشارات والملاحظات السريعة عنهم التي لا تجلي غامضة ولا توضح مبهمًا ، ولا تعني تلك الصعوبة إهمال تلك لفترة والابتعاد عنها بقدر ما يحتم على الدارس بذل المحاولات لإنارة الطريق للآخرين .

هذا وقد قسمت الدراسة إلى تمهيد موجز عن موضوع الباسك ، ثم انتقلت في الجزء الأول إلى دراسة عن الخصائص السكانية (البشرية) للباسك وتتضمن أصولهم الأولى صفاتهم ، لغتهم ، مناطق استيطانهم ، بنيتهم وأثرها عليهم ووحشيتهم .

ثم انتقلت في الجزء الثاني إلى علاقتهم بالشعوب المجاورة من رومان ، وفرنجة، وجليقيين .

ثم تعرضت في الجزء الثالث إلى علاقة ولاة بني أمية بالباسك .

ورابعًا علاقة امراء بني أمية وخلفائهم بالباسك إلى نهاية سنة ٣٦٦ هـ .

ثم قدمت خاتمة تضمنت نتائج الدراسة .

والله أسأل التوفيق والسداد ...

أولا : الخصائص السكانية (البشرية) للباسك .

١ــ أصول الباسك :ــ

البشكنس والبشكنش ، وشكش ، الباسك Basques فاسكون Vascones هم سكان بلاد نافار Navarra التي تقع شرق مملكة ليون محازية لجبال البرتات التي تفصل بين ايبيريا وغاله[١] .

استوطن الباسك دون انقطاع تقريباً في نفس المناطق من شبه جزيرة أيبيريا التي ما زالوا بها منذ العصر الحجري الحديث ٤٠٠٠ ق . م (النيوكثيك) حتى عصر (البالتيك) وينتهي عام ٩٠٠٠ ق . م . وأن هذا القول يميزهم عن بقية سكان اسبانيا وعن القادمين الجدد نسبياً إلى المنطقة ، وعن الأصول الثقافية والعنصرية المتنوعة[٢] .

وكان استيطان الباسك جبال نبرة والتي عرفت باسم نافار Navarra وسموا بالباسك نسبة إلى منطقة بسكاية التي كانوا يقطونها والتي امتدت بطول هذا الخليج (بسكاي) وحتى المحيط الأطلسي غرباً وكانت هناك سلاسل جبلية تمتد بطول هذه السهول وهي سلاسل جبال اشتريش وجبال كنتبريه وتمتد هذه السلاسل فيما يعرف بجبال البرتات ، وينبع من هذه الجبال عدد من الأنهار لها فروع لا حصر لها فكانت هناك انهار المندجو Mendgo ودويره Douro اللذان يصبان في البحر المحيط أو (المحيط الأطلسي) وهناك نهر إبره Ebro وبين تلك الأنهار هناك هضاب قفرة واسعة اصبحت حاجزاً طبيعياً بين مسيحي الشمال والمسلمين في الجنوب لذلك كانت الأنهار والهضاب والجبال الوعرة ملجأ آمناً لنصارى الشمال (ومنهم الباسك) ساعدتهم ضد كل معتدي[٣] ولقد اطلق العرب عليهم اسم البشكنس أو البشكونس وربما تركوا هذا الإسم على البلاد التي تقع وراء البرتات إلى جهة غالة لأن الأصل لهؤلاء الأقوام واحد سواء في السفح الجنوبي أو في السفح الشمالي من جبال الزقاق[٤] .

١ ـ الحميري: الروض المعطار، ص٥٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى، جـ٥ ، ص٢٤٣ ، البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٧٩

٢ ـ Roger Colins: The Basques . U . S . A . New york1987. PP.3.7.

٣ ـ رجب عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ، ص٩٨ ، ٩٩ .

٤ ـ الحميري : الروض المعطار ، ص٥٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى جـ٥ ، ص٢٣٤ ـ رينو : تاريخ غزوات العرب في فرنسا، ص١١٧. أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص٣٢١ .

٢ ـ صفاتهم :ـ

هم شعب شديد المِراس ، ومن أشد الشعوب تمسكًا بقوميتهم واحتفاظًا بعاداتهم وتقاليدهم ، عرفوا بالشجاعة الفائقة نظرًا لخشونة الحياة التي كانوا يحييوها فأصبحوا لا يهابون الموت فهم كما وصفهم المؤرخون (أسد في حصونهم ، عقبان على خيولهم ، فيهم بأس وشدة ، لا يرون الفرار عند اللقاء بل يرون الموت دونه ، وإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن رأوا علبة فأوعال تذهب إلى الجبال ، لا يرون الهزيمة عارًا[1] .

وقد وصفهم الحميري (بأنهم كاللصوص وقطاع الطرق لا يفكرون إلا في مغانم الحرب وأسلابها ، وأن هدفهم من غزو المدن والقرى هو نهبها وليس استعادتها)[2] وكان فقر بيئتهم من الدوافع الرئيسية التي أدت بهم للهجوم ضد جيوش المسلمين القوية ، وخاصة في الصدر الأول من عصر الإمارة وهي الفترة التي تميزت بفتوحات المسلمين ووصولهم إلى أبعد المناطق في تلك الفترة المبكرة . لذلك وصف الحميري خروجهم « بين جبال شامخة وشعاب غامضة قليلة الخيرات وأهلها فقراء جاعة لصوص »[3] .

٣ ـ لغتهم :ـ

برغم قلة عددهم وتمركزهم المكاني المحدود من الناحية الجغرافية ، وفقدانهم استقلالهم السياسي في بعض الفترات إلا أنهم احتفظوا بلغة فريده ، وتوجد نظرية فاسكو ايبيرية ترى أن الباسكية هي أخر بقايا اللغات التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الغزو الروماني ، وترى أن الباسك هم أخلاف الأيبيرين وهم شعب ترجع أصوله إلى أصل أفريقي سكن معظم جنوب ووسط ايبيريا في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد ، ومارس تأثيرًا جوهريًا من الناحيتين الثقافية واللغوية على السكان المهاجرين الرئيسين من الكلت Celts والدليل الذي تقوم عيه هذه النظرية

---

١ ـ الحميري : الروض ص١٠٤ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٢٦ ، البكري : جغرافية الأندلس ، ص٨١ .

٢ ـ الحميري : المصدر السابق ص٦٦ .

٣ ـ الحميري : نفس المصدر السابق ص٦٦ .

محدود ، لأن الآثار الأخرى للغة الأيبيرية قليلة بشكل ملحوظ وتعتمد اساساً على النقوش الموجودة على العملة وبعض أسماء الأماكن[1] .

لذلك تعد اللغة الباسكية هي آخر مرحلة باقية من اللغات التي كانت تستعمل في جميع أنحاء شبة الجزيرة الأيبيرية ، وهذا يمكن أن يستغل في إثبات وجود علاقة تاريخية بين الباسك والأسبان ، وتعد اللغة الباسكية من اللغات العريقة التي لا تنتمي إلى العائلة الهندو أوروبية وليست لها أي صلة بأي لغة من اللغات الأوربية ، واطلق عليها البشقية[2] .

٤ ـ مناطق استيطانهم :ـ

اشار استرابون STRABO أقدم من كتبَ عن تاريخ الباسك ، والمؤرخ والجغرافي الإغريقي في مؤلفة الجغرافيا المتكون من ١٧ مجلداً ، بأن الشعب الذي يشير إليه بكلمة يونانية يمكن ترجمتها عادة بكلمة (الفاسكونيين) يمكن أن نشبههم بأولئك الذين أشار إليهم الكتاب اللاتينيون فيها بكلمة الفاسكون Vascones وكلا الإسمين مشتقان من كلمة الباسك ، ويضع استرابون مكان الذين ذكرهم في المنطقة التي عرفت فيما بعد على أنها موطن الباسك عبر منحدرات البرتات الغربية على وجه التقريب ، وأن منطقة سكانهم تمتد غرباً حتى المحيط ويشير هنا إلى خليج بسكاي[3].

وفي موضع أخر يحدد استرابون مكان اقامتهم ومناطقهم فيذكر أن مكانهم في منطقة تمتد من كالاهور (البرتات الوسطى) إلى خليج بسكاي .

أما المؤرخون والجغرافيون الكلاسيكيون فإن ما كتبوه عن الباسك رغم كونها كتابات تبدو مختصة ولا تخلو من الإبهام والغموض ، إلا أنهم يدخلون شعوباً اخرى في منطقة الباسك فيختلفون بذلك عن ما ذكره استرابون[4].

1- Roger collines : op . cit . p.32.

٢ ـ الحميري : الروض المعطار، ص٥٦ القلقشندي : صبح الأعشى ، ص٢٣٤ .

3- Roger collines : op . cit . p.69.

٤ ـ لم يشر إلى هؤلاء المؤرخون والجغرافيون الكلاسيكيون روجرز كولن بل اورد المعلومة على هذه الصورة انظر.
Roger collines : op . cit . p.69.

٥ ـ البيئة وأثرها على السكان :ـ

كانت بلاد الباسك عبارة عن جزيرة يقسمها ن الوسط جبال الشارات ، ويختلف الجنوب عن الشمال فلكلَ جزء منها ما يميزه . فالجنوب له مناخ الشمال الأفريقي وحوض البحر المتوسط ، والشمال له مناخ أوربا ببرودته فكان لذلك أثر كبير على أمزجة الناس وطبائعهم وطرق حياتهم . فاتسم القسم الشمالي بالخشونة والقسوة والعصبية ، بخلاف القسم الجنوبي الذي اتسم بالهدوء والمسالمة ، وكانت هذه العوامل التي زادت من التناقض بين سكان الأندلس وبينهم وبين سكان اسبانيا النصرانية ، وساعد على استمرار هؤلاء في مقاومتهم للمسلمين الأندلسيين ردحًا من الزمن[١] .

وكذلك كان لطبيعة الأرض حتمية معينة لا تظهر إلا في أوقات الضعف السياسي ، وذلك أنها كانت تتكون من وديان طويلة توازي الأنهار الكثيرة التي تمتد من الشرق إلى الغرب أو العكس ، وتفصل هذه الوديان بعضها عن البعض سلاسل جبلية تسير في نفس الاتجاه وتقطع الجزيرة بالعرض ، وقد أدى ذلك إلى انقسام البلاد إلى أقاليم تتميز بشخصيتها جغرافيًا ومناخيًا وثقافيًا ونفسيًا ، وهذه البيئة الطبيعية والجغرافية ساعدت على إثارة النعره الإقليمية والحركات الإنفصالية قديمًا وحديثًا وأدت إلى تنوع غريب في العادات والتقاليد[٢] وانعكست هذه البيئة على أخلاقهم وعاداتهم ووضعهم الاجتماعي والاقتصادي فكانوا قساة جفاة غلبت عليهم الخشونة والقسوة والتعصب حتى وصفوا بالبرابرة[٣] .

حتى أنهم إذا تغلبوا على مدينة كانوا يضعون السيف في رقاب جميع سكانها بلا رحمة ولا هوادة[٤] .

---

١ ـ الحميري : الروض المعطار، ص١٣٣ ـ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، جـ٢ ، ص٢٤ ـ محمد كرد علي : غابر الأندلس ، ص١٦٠، رجب عبدالحليم : الأندلس الإسلامية ، ص٦٤ .

٢ ـ ابن غالب : فرحة النفس ، ص٣٠٧ .

3-Dozy : Aistory of the moslems in Spain.P.414.415.

٤ ـ رجب عبدالحليم : الأندلس ، ص١٠١ .

وفي ذلك يصفهم ابن عذاري بأنهم قوم كالبهائم[1] أما الحميري فيذكر أنهم أهل غدر ودناءة أخلاق[2] .

٦ ـ مدنهم : ـ

أما أهم مدينتين فهما بمبلونه Pamplona وكالاهور Calahorra ويظهر من اسم الأولى بومبيولولس بأنها هي المدينة التي أسسها الرومان أيام القائد العظيم بومبي Pompy سنة ٧٧ق . م وأطلق عليها اسمه فسميت بمبلونه .

أما كالاهور أو (كالاجورس) فقد كانت مستوطنة إيبيرية كلتيه استولى عليها الرومان بقيادة بومبي أيضاً سنة ٧٥ ق . م . اتخذوا من الأولى مركزاً وداراً أو عاصمة لهم لمدة طويلة[3] وقد فتحها المسلمون واقاموا بها وحكموها ردحاً من الزمن ، ثم فقدوها في أواخر القرن ٢هـ / ٨ م أمام غزوات الفرنجة لأسبانيا الشمالية ، وكانت بمبلونة ميداناً للجيوش الإسلامية وجيوش الفرنجة عند عبور كلا منهما للأخرى ، وقد حاولت كل منها غزوها ولكن الباسك كانوا لا يتوانون عن الذود عن استقلالهم وحريتهم فتصدوا لكل غازي ، وعندما قام أمراء جليقية بغزوها وضمها إليهم غير مرة قام الباسك بالتصدي والخروج عن طاعتهم وإعلان استقلالهم قرب نهاية القرن ٢هـ عندما ظهر أحد زعمائهم الأبطال المسمى بـ أزوار عام ١٨٠هـ / ٧٩٩م ونصب نفسه أميراً عليهم[4] ، كما تصدوا للفرنجة وساعدهم على ذلك الأرض والبيئة التي كانوا يقطنونها لها أكبر الأثر في عرقلة الجيوش الغازية فيذكر روجرز كولن أن الغابات الكثيفة التي تمتد في جميع الاتجاهات تجعل منها مكاناً سهلا لنصب الكمائن ، كما كانت طبيعة المضايق المحلية تسهل على الباسك نصب كمائنهم في أعلى قمة الجبال فيتمكنوا من الإندفاع إلى أسفل على آخر جزء من أمتعة الجيوش والفصائل التي تسير لدعم مؤخرة

---

١ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص١٦ ويضيف ابن عذاري أن موسى بن نصير وطارق بن زياد عندما رأى وعوره أراضيهم وشدة بدواتهم ، استهانوا بهم ورفضوا التوغل في أراضيهم ونعتوهم بالبهائم .

٢ ـ الحميري : الروض المعطار، ص٦٦ .

3-Roger collines : op . cit . p.69

٤ ـ رجب عبدالحليم : الأندلس الإسلامية ، ص١٠١ .

الجيش ، فيجبرون من أمامهم بالتسليم أو الإبادة عن آخرهم واختطاف امتعتهم في جنح الظلام فيتبعثروا في جميع الاتجاهات بدون وضع خطة للقضاء على من هو أمامهم . كذلك اعتمد الباسك على خفة اسلحتهم وطبيعة أرضهم غير المستوية لإعاق الفرنجة وغيرهم والحد من مقاومتهم[١] .

هكذا ساعدت العوامل الجغرافية والبيئية المحيطة من عرقلة كل الجيوش الغازية وعلى اختباء الباسك وعدم القدرة على الوصول إليهم .

٧ـ وحشية الباسك :

يصف هوارد جاردنير وحشيتهم بقوله :ـ

(منذ القرن ٤ م كتب برودنس Prudence عن الوحشية الوثنية للفاسكون ، والواقع أنهم يظهرون وكأنهم اكتسبوا الصفة التي تدعوا للإشمئزاز وهي أنهم قضوا على أعداد كبيرة من المسيحيين الذين يعدون من الشهداء ، ويذكر المؤلف أنه بعد ٣ قرون لا يبدو أن الأمن العام قد تحسن كثيراً حيث أن القديس ليون Leon وهو أول اسقف لمدينة بايون Bayone ، التقى أثناء محاولته العبور إلى أسبانيا ببعض الباسك الذين لم يتمكن من فهم لغتهم ، وأجبر على العودة إلى بايون حيث لقى حتفه على أيدي « قراصنة » افظاظ غلاظ القلوب وأعوان الشيطان وهو نفس المصير الذي لقيه الشهداء من القديسين في القرون الماضية)[٢] .

أما جيرالدو Craldo واضع قانون Canon of compastila كومبوستيلا الذي كان يحتفظ بذكريات مريرة عن الباسك حيث أنه في عام ١١٢٠م فقد وصفهم بأنهم جنس يتحدث لغة غريبة وأنهم وحوش بمعنى الكلمة وهم مثل الحيوانات المتوحشة التي يعيشون بينها من حيث ضراوتهم وتعطشهم للدماء[٣] .

1- R . O . op-cil. 120-121.

2- Houard Gardner: Abook of the Basques,p.11.

3- Houard Gardner: op.cit. p.11.

إلا أن هناك دلالة أخرى تؤكد سوء سمعتهم الموجودة في قصيدة سانت فواداجين Chanson de Agen من القرن ١١ م يتضح فيها مدى وحشيتهم[١] .

ولو احتجنا إلى المزيد من الأدلة على أن العالم كان ينظر إلى الباسك نظرة خوف ورعب حتى القرن ١٢م ، فإننا نجده في إصدارات الجرمانية الكنسية في عام ١١٧٩م بواسطة مجلس اللاتران الثالث فتذكر : « وبخصوص البربابنكونز والأرجونيز والنافاريز والباسك .... الذين يقومون مثل هذه القسوة على المسيحيين دون مراعاة للكنائس ولا للأديرة ولا الأرامل ولا الفتيات الصغيرات ولا الشيوخ ولا الأطفال ، ولا يراعون العمر ولا الجنس بل يدمرون ويخربون كل شئ مثل الوثنيين »[٢] .

لذلك لم يكن لديهم أي استعداد للإرتباط بجيرانهم من الجليقيين أو المسلمين أو الغزاة الفرنجة ، فقد كان لوحشيتهم أثر كبير في دفع الرومان الغزاة الأوائل لشبه جزيرة أيبيريا وهذا ما سأتعرض له في النقطة التالية .

ثانياً : التاريخ المبكر لمملكة الباسك وعلاقتها مع جيرانها :

برزت مملكة الباسك أو نافار في القرنين التاسع والعاشر الميلادي ، واستطاعت أن تحتفظ بوجود مستقل حتى أوائل القرن ١٦م وتلعب دوراً حاسماً في التاريخ السياسي . ومكنت لها علاقاتها المتعددة والمتباينة من دولة لأخرى ، فالعلاقات بين الباسك والرومان والفرنجة اختلفت عن العلاقات التي ربطت بين الباسك والجليقيين والمسلمين سواء في عصر الولاة أو عصر الخلافة ، هذا وسنتعرض لعلاقات الباسك بداية مع الرومان الحكام الأوائل لشبه الجزيرة الأيبيرية ، ثم نلقي الضوء على العلاقات النافارية ثم الفرنجية ، ثم ندرس بالتفصيل دور ولاة بني أمية مع الباسك ودور خلفاء بني أمية معهم أيضاً ، لنصل إلى الحقيقة المؤكدة التي تذكر أن شعب الباسك لم يخضع على مر الأيام لأي جار أو معتدي أو غاصب ، ولكن هناك بعض العلاقات التي

1- Houard Gardner: op.cit. p.11.

2-H. G. Op-cit. P11.

ارتبط بها مع جيرانه سواءاً كانوا من الجليقيين أو الليونيين (سكان مملكة ليون) أو الفرنجة أو المسلمين حسب ما تقتضيه المصلحة التي فرضتها عليه الظروف .

١ ـ العلاقات الباسكية الرومانية :

منذ ألفي عام جاء سرب من الرومان لشن الحرب على بلاد الباسك ورد عليهم الكانتابريون الشجعان Cantabria (نسبة إلى منطقة كنتبريه) : « نحن نفضل الموت على الاستسلام » وحتى يومنا هذا لم تنسى كلماتهم .

فمن هم هؤلاء الشجعان ؟

يذكر هوارد جاردنير Howard Cardner في كتابه عن أصول وتاريخ الباسك أنه (على شواطئ خليج بسكاي حيث تنحدر جبال البرتات نحو البحر ، تقع أرض مبتسمة يتكون سحرها المتنوع من شاطئ متعرج وجبل وعر ووادي أخضر وتلال متراصة مغطاة بنبات الرتم الأصفر الذهبي ، وغابات البلوط والجوز والمجاري المائية ذات الأسماك وحقول الذرة والممرات الظليلة والكروم المشمسة وبساتين التفاح ، يسكنها جنس غامض نطلق عليه الباسك ويسمون أنفسهم اسكوالديانوك Esku aldunak وأرضهم اسكول هوريا Esku heria أو ايوز كادي Euskadi وهو أسم ربما يكون مشتق من الكلمة الباسكية للشمس ، وهناك القليل من الأجناس على وجه الأرض نعرف عن أصلهم مثل هذا القدر الضئيل والذين كان لهم هذه القوة في جذب علماء الأعراق البشرية وعلماء فقة اللغة من كل جنسية ، لدراسة أصعب مشكلة عن أصل الباسك)[1].

ويذكر المؤلف في موضع أخر : أن المؤرخين الرومان كثيراً ما يشيرون إلى قبيلة تعيش في أوربا بالقرب من المكان المعروف باقليم الباسك في الوقت الحالي ، ويتحدثون لغة غريبة لم يفهمها جيرانهم ويسمون هذه القبيلة تسميات مختلفة مثل ايبري ، وراجاني ، توردیتاني كانتا بري ـ كالجيوريتاني ، استوري ، فاسكون ، وكثير من الأسماء الأخرى .

1- Abook of the Basques,p.2.3

ولكن أو من ذكر الفاسكون هو المؤرخ ليفيLivy في وصفه للحرب السرتوريانية (٧٧ ـ ٧٤ ق . م) ، وهو يضعهم بين المدن الحديثة من كالاهور ولوجروتو ، ولابد أيضًا أنهم توسعوا جهة الشمال حيث أن بومبي Pompey أقام مساكنه الشتوية بينهم في بامبلونا Pampeluna ، ولذلك فإن الباسك لابد أنهم كانوا من رعايا الدولة الرومانية ، وطبقًا لتاريخ بطليموس فإن الفاسكون كانوا يقطنون منطقة تمتد من ضفاف نهر ابرو حتى البرتات ، ويصوره من جاء بعده من الكتاب على أنهم ينتشرون تدريجيًا في إتجاه الغرب حتى القرن ٦ م حتى يبدو أنهم انسابوا إلى شمال البرتات[1] .

ومع أن الأصل اللاتيني فاسك Vasc ربما يكون تحريفًا من اللفظة الباسكية ايوسك Eusk إلا أنه من المستحيل أن نجزم بأن الفاسكون هم الباسك في أيامنا هذه[2] لأن اللفظان الحديثان الباسك والفاسكون Gascon مشتقان من أصل لاتيني . وفي القرن ١٢ فقط نجد اشارة إلى الباسيلي Baseli ومعها مفردات لبعض من الكلمات الشائعة في لغتهم والتي تؤكد أن هؤلاء الباسيلي ليسوا سوى الباسك ، والمقارنة بين الكلمات الأصلية والمستعارة في اللغة الباسكية الحديثة تدل على أنهم عندما اتصلوا بالرومان لأول مرة منذ حوالي ألفي عام تقريبًا ، كانوا شعبًا من الرعاة الذين بدأوا حديثًا تكريس أنفسهم للزراعة ، ويمكن القول بأنهم بعد قدوم الرومان ، راقبوا عمليات المرور المتوالية للقوط والفرنجة والنورمانديين والمغاربة واشتركوا في هزيمة رولاندRoland في رونسيفو (رونسيفال باب الشرزي)[3] .

فندرت المعلومات عن الباسك في عصور ما قبل التاريخ وكل ما أشيع عنهم أنهم اتسموا بسوء السمعة والعنف والضراوة[4] .

1- H.G.op.Cit . p.3.

٢ ـ ويقصد بها في أيامهم .

3- Gardener "Abook of Basques P.10.11
Pirenne, H., Mahammed and Charle magne-London,1956, p.p273-278.

٤ ـ سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ١ ، ص٢٧ .

لذلك لم تكن لهم تلك العلاقة الوطيدة بالرومان ، بل أنه لم يحدث أي تمازج بين بعضهم البعض بعكس جميع القبائل الجرمانية التي غزت أملاك الدولة الرومانية المتسعة مثل الفرنجة والقوط والوندال وغيرهم ، لذلك احتفظ الباسك باستقلالهم عن كل غازي ولم يستطع أحد من هؤلاء أن يخترقهم ويكون تلك العلاقة المتينة معهم أبداً ، لضراوتهم وقسوتهم وبعدهم عن كل ما يمكن أن نطلق عليه نوعًا من الحضارة أو التقدم.

وبرغم محاولات الفرنجة فرض المسيحية على جيرانهم من الباسك وغيرهم إلا أنه نتيجة لحملة شارلمان على الباسك عام ١٦٢هـ ٧٧٨م والمشاكل الحدودية التي سببتها أدى ذلك إلى اعتبار بلاد الباسك مكانًا لابد أن تتخذ ضده جميع الإجراءات الدفاعية(١) ولكن تغيرت الأوضاع في عهد الامبراطور لويس التقيLouis the pious ابن شارلمان١٩٩ـ٢٢٦هـ / ٨١٤ ـ ٨٤٠ م فقد ثار الباسك عبر الجارون وحول البرتات لأن لويس التقي قد عزل دوقهم سيجوينSigiuin بسبب الغرور المتناهي والأساليب الشريرة التي كان يلجأ إليها ، ويحتمل أنه كان في معرض اخماد تلك الثورة أن عبر لويس التقي جبال البرتات (كما يعبر عن ذلك كاتب مجهول دون سيرة حياته وعرف باسم الفلكيAsroronomer) فقد سوى الأمور في بامبلونه واستمر ذلك من حيث تلقيه لمراسم استسلام المتمردين الباسك في داكسDax(٢) ويسجل الكاتب هذا أن لويس التقي في طريق عودته قد إتخذ احتياطاته ضد أخطار الكمين في ممر ورنسفال وذلك بالقبض على الرهائن ، وهذا يدل على أن تلك مناطق لم يتم تهدئتها ، رغم أن نشاط الأمبراطورية في بامبلونه يوحي بأنه كان يجري تطوير شكل من أشكال الإدارة الباسكية(٣) .

1- Davis: charlemagne, london.1929.P.110-114.
2- Howard gardner: op.cit. P.P.127-128.
3-Howard gardner: op. cit . p.128.

وبعد عهد لويس التقي والذي عاصره عهده شطراً كبيراً من عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط والذي تابع فيها الفرنجة سياستهم العدائية مع الأندلسيين والباسك وحاولوا التدخل في شئونهم ، لذلك عول لويس على اخضاعهم ليؤمن طريق عبوره إلى الأندلس فأرسل جيشاً تحت قيادة اثنين من الكونتات هما ازنار Aznar وايبولسAblus لمواجهة الباسك واخضاعهم إلا أن هؤلاء استغاثوا بجيرانهم من المسلمين لدفع خطر الفرنجة ، ويبدو أن موسى بن قسي[١] واصحاب تطيله بموافقة الحكومة الإسلامية في الأندلس تعاونوا مع الباسك في تدمير جيش الفرنجة العدو المشترك ، وأنزلوا به الهزيمة الساحقة التي لا تقل أهمية عن باب الشرزي[٢] في عهد شارلمان قبل ست وأربعين عاماً[٣] .

ففي عام ٢٠٩هـ / ٨٢٤م تسجل التواريخ الملكية الفرنجية أن الكونت ايبلوسAblus والكونت ازنار Aznar ويحتمل أن يكون الأخير كونت ارجون ، قادا جيشاً إلى بامبلونه Pam Plona ليلقي حتفه في طريق العودة حيث تعرض لكمين اباده

---

١ - هو موسى بن موسى بن فرتون بن قسي (القسوي) كان جده الأعلى الكونت قسي Kasi من أشراف القوط ، وكان الفتح الإسلامي لبلاد قومس Comes الثغر الأعلى ، وأثناء الفتح سار إلى بلاد الشام واعتنق الإسلام على يد الخليفة الوليد بن عبدالملك وذلك لكي يحتفظ في ظل الفاتحين بأملاكه وسلطانه الاقطاعي ، واعتبر إسلامه على يد الخليفة من مواليه واصبح مؤيداً للمضريه وأصبح أولاده من بعده من زعماء المولدين في الثغر الأعلى ، وكانوا من الزعماء والفرسان ويعتزون بأصولهم النصرانية وكانت لهم علائق مصاهرة مع الأمراء النصارى من الباسك ، وكان اسلامهم سطحياً لاغتنام السلطان والنفوذ ، وكانوا لا يشعرون بالولاء نحو حكومة قرطبة يصانعونهم متى وجبت المصانعة احتفاظاً بمركزهم وسلطانهم في الثغر الأعلى ، ولكنهم لا يحجمون عن انتهاز أي فرصة للثورة ومحالفة النصارى وقد قامت علاقات المصاهرة بينهم وبين النافاريين لتقوية نفوذهم بالزواج فضلا عن عامل الجوار والقرب الذي يربط بين الطرفين ، وكانت علاقات المصاهرة هذه من القوة بحيث كان بنوقسي يقفون احياناً مع أصهارهم النافاريين بوجه حكومة قرطبة وبوجه الإمارات الأسبانية النصرانية الأخرى ولا زال أحد سلالة هذه الأسرة يعيش بأسبانيا حتى اليوم . للمزيد انظر العذري : ترصيع الأخبار ص٣١-٣٢. ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص٤٦٧ - ٤٦٨ ابن حيان: المقتبس تحقيق محمود مكي ص١٦-١٧ ، محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام في الأندلس جـ١ ص٢٦٠ .

٢ - عن باب الشزري ص١ .

٣ - Danesly : A History of Early medieval Europe-London,1956 p.351,
المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٣١٣ ، ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٧٧ - شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب، ص١٩٢ - محمد مرسي الشيخ : دولة الفرنجة ، ص١٧٤ .

عن أخره ، وأرسل الكونت ابلوس كهدية للحاكم الأموي في قرطبة ، ولكن ازنار اطلق سراحه فيما بعد لكونه قريباً لأسرته ، وتعتبر هذه الحادثة نهاية الحكم الفرنجي في بامبلونه ، ويحتمل جداً أنها كانت بداية للملكة المستقلة التي خلفتها[1] . ويبدو من هذا مدى صعوبة دخول بمبلونه تحت أي سيطرة فرنجية رغم المحاولات المتكررة التي انتهت بالفشل بعكس دوقية جاسكونيه Gascony [2] التي لم تسر في الطريق الذي سارت فيه نظيرتها الجنوبية (أقليم الباسك) عبر جبال البرتات في مملكة بامبلونه ، والتي خضعت تماماً للحكم الفرنجي والتي أبدى دوقاتها كل تعاون مع الملوك الكاولنجيين[3] ونخص بالذكر الدوق لبوسDuke lupus من عام ٧١٩، ٧٧٨م ، وكان الدوق لبوس سانشو Lupus Sancho من الباسك وأحد قادة الحملة الناجحة التي قام بها الملك لويس ملك اقطانيا King Louis of Aqutaine ضد مدينة برشلونه عام ١٨٥هـ /٨٠١م[4] .

ولكن نستطيع أن نقول على الرغم من سوء العلاقات إلا أنه هناك بعض التأثيرات الفرنجية البابوية على الباسك ومن هذه التأثيرات وجود نص لصك ازنار Az-nar في وثائق ليير Leire تثبت أن هناك بعض الممارسات المتطورة في المجتمع الباسكي بدأت في التعبير عن نفسها في نافار منذ أوائل القرن ١١م وخصوصاً أن منطقة الباسك بوضعها الجغرافي المتميز كانت مجالا سهلا لمرور الجيوش الغازية القادمة من بلاد الفرنجة إلى بلاد الأندلس والعكس . هذه المعابر قد خدمت ملوك نافار في نقل وتطوير المجتمع الباسكي إلى الأفضل .

ـ فالإشارات المتكررة في الوثائق تظهر مدى وكيفية تطوير روابط التبعية للملك ورجاله من خلال نظام عرف باسم نظام الأتباع Vasslage وهو نظام (الخضوع

1-Howard Gardner: Abook of theBasques,p.129.

٢ ـ جاسكونيه (غاسكوني) أقليم يقع في الجنوب الغربي من غاله تحده جبال البرتات من الجنوب ، وخليج بسكاي من الغرب ، واسم جاسكوني مشتق من الباسك وقد لعب دور هاماً في التاريخ الفرنجي وألحق عام ١٠٣٦م بمقاطعة اكيتانيا .

Moore, W.G: the Penguin Ehcyclopedia of Places, Britain.1978. P.298

3- Einhard: the life of chaolemagne 1975. P.40.

4- Howard Gardner: op.cit . P.13

والقسم بالولاء والتبعية للملك من قبل طبقات المجتمع العليا من النبلاء وكبار رجال الدول) .

وقد رافق هذا النظام ظهور الكثير من الألقاب مثل رئيس الخدم / السائس / كبير المشرفين وكل هذه الألقاب تمنح لأعضاء نبلاء البلاط وكلها لها سوابق فرنجية واضحة[١] .

ـ نظرة الملوك في ذلك الوقت للخارج طلب للمساعدة الفرنجية في إصلاح وتحديث الكنيسة في ملكهم ، وربما كانت الاستعارات الثقافية قد سبقت ، ولكن استعارة الأشخاص تبعت ذلك فوراً ، وقبيل أوائل القرن ١٢م كانت بعض مناطق الباسك جنوب البرتات لم تكن فقط تتفتح أمام الأفكار والممارسات الجديدة بل وتستقبل هجرة حقيقية لسكان جدد من الشمال[٢] .

ـ رئاسة الأديرة وملكية الأراضي في القرن ١١م تعطينا دلالة واضحة على أعمال المجتمع الباسكي واقتصاده ، فجميع الأديرة الرئيسية في مناطق الباسك الجنوبية تطورت في مناطق الحدود وتعتبر سان جوان ، دي لابينا ، وليير ، وأرانس ، وأرانزو ، وسانتا ماريا دي ناجيرا ، وفالويوستا تشكل اتفاقاً مع هذا الأمر جزئياً انعكاساً لمصلحة مؤسسيها والمنتفعين بها في هذه الأقاليم ، حيث لم تكن الأراضي متوفرة نسبياً فحسب بل وكانت الأديرة يتوقع منها أن تلعب دوراً هاماً في تطوير وإدارة الأراضي المفتوحة حديثاً والمعاد اسكانها .

ـ اصبحت للنساء حقوق في الملكية ، وهذا أمر جديد بالنسبة للمجتمع الباسكي لم يظهر إلا في هذا القرن .

ـ نظام الإرث يبدو أنه وراثة أبناء الأخ مسألة مألوفة جداً ، وهذه ظاهرة كلاسيكية لمجتمع يتبع العادات الأمومية في التوريث وهكذا لا تنتقل الملكية من الأب إلى

1- Howard Gardner: op.cit . P.14.
2- Gardne:op.cit. P . P.186-187.

الأبن بل تنتقل الملكية من الأم إلى ابن أكبر أخوانها متبقية لها داخل الأسرة .

ـ إرسال موفدين من الباسك إلى الدير البرجندي العظيم دير كلوني[١] لإدخالهم على الأديرة في بلاد الباسك .

ـ كان مقدراً للباسك أن يلعبوا دوراً كبيراً بارزًا في التوسع وراء البحار في كل من أمريكا الشمالية والجنوبية من القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر .

ـ نظام التبعية يظهر لأول مرة في مصادر أقاليم الباسك جنوب البرتات ، ورغم أن هذه الممارسات مستخدمة منذ وقت طويل في غاله حيث نجد أن أقدم تعهد بالتبعيةVassalage مسجل في الحوليات التاريخية للوك الفرنجة في عام ٧٥٧م .

وبصفة عامة فإن الشخص الذي سوف يصبح تابعًا جعل من نفسه رجل سيده حيث يقوم بالركوع أمامه ووضع يديه بين أيديه أثناء حلفه اليمين على الإخلاص والولاء له ، وقد أدى هذا إلى خلق روابط تبعية والتزام متبادل . وفي أكثر أشكالها تطوراً أصبح هذا الإستيداع (الخضوع وتسليم النفس) متعلقًا بمنحه يعطيها اللورد إلى تابعه على هيئة اقطاعية أو ضيعة Estate في مقابل خدمات متنوعة غالبًا ذات طابع عسكري[٢] .

ـ يبدو أن التأثيرات الكلاسيكية الفرنسية للتبعية والاقطاع بممارسته المتميزة كانت بطيئة على شبه جزيرة أيبيريا بخلاف قطالونيا (كاتالونيا) [٣] .

---

١ ـ دير كلوني Clony هوالدير الذي قام بدورها في عملية الإصلاح الكنسي التي ألمت به في أشد سنوات العصور الوسطى حلكه وظلامًا ، وكان الهدف الأول للزعماء الذين يولوا رئاستها اصلاح الكنيسة عن طريق تحريرها من سيطرة الحكام العمانيين ونفوذهم ، فأصبح الدير الكلونية بمثابة الدير الأم أو الرئيس العام في هذا التنظيم الجديد وامتاز هذا الدير بأن نجح في تحرير جميع الأديرة الكلونية من سيطرة الاساقفة المحليين ، لتصبحاالمنظمة الديرية الكلونية تحت سيطرة البابا مباشرة ولم تلبث هذه الأديرة أن انتشرت انتشاراً واسعًا بحيث لم يقل عددها عن مائتي دير خضع رؤساؤها خضوعًا مباشرًا لمقدم دير كلوني وأخذت تحرض القوى المسيحية على خوض حرب صليبية ضد المسلمين .

سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، جـ٢ ، ص٢٤٣ ، ٢٤٤ .

2- Gardne:op.cit. P . P.186-188.

3- Gardne:op.cit. P . P.186-188.

- إن الاهتمام الملكي معنياً كثيراً ببناء مركز لشاغلي المناصب القادرين على التصرف كممثلين محليين للملك في نطاق العدالة وحفظ النظام والإشراف على تحصيل المستحقات المختلفة للملك ، ويبدو أنه لا توجد أي دلالة على وجود الضرائب لا على الأراضي ولا على الأشخاص وإن ظهرت فهي تأتي أساساً على صورة جمارك على البضائع المجلوبة إلى داخل الملكية ، ولذلك فإن المصالح الملكية وتحقيق الربح كان يميل إلى التركيز على الحدود المكتسبة حديثاً على الأطراف الجنوبية من ممالك نافار وقشتاله[1] .

- نتيجة لذلك فإن الرعاية وروابط الصلة المتبادلة بين الشعب والملك أعطت الملكة تلك القوة الإقتصادية والعسكرية التي كانت في حوزتها .

- حرص الملوك ومن تحتهم من الكونتات والرؤساء على مد سلطتهم ومواردهم بتطوير الأراضي المهجورة والغير مستصلحة ، ويبدو أن شاطئ البحر في جنوب بسكاي كان أحد المناطق التي جذبت الإنتباه كما تشهد بذلك الوثائق الجوبيوكاتية من سان جوان San juan وسجلات سانتا ماريا ديل بورتو التي اصبحت تابعة لناجيرا Najera وكثيراً من البرتات والمناطق الداخلية من أقاليم الباسك الداخلية .

- إنعدام طبقة العبيد في المجتمع الباسكي يعني أن القوة البشرية المتاحة الحرة يجب أن تتحد لتطوير الأراضي ، وللسعي وراء أزماتها ولو في أماكن بعيدة عن محيط الأسرة وهذا هو السبب وراء إنشا جاسكونيا Gascony وبنفس الطريقة كان مقدراً للباسك أن يلعبوا دوراً كبيراً بارزاً في التوسع وراء البحار في كل من أمريكا الشمالية والجنوبية من القرن السادس عشر[2] .

1- Gardne:op.cit. P . .190-200-209.

2- Gardne:op.cit. P.209.

٣ـ علاقة الباسك بجليقية :

خضعت إمارة الباسك في أول أمرها إلى سلطة بعض النبلاء التابعين للفرنجة أو الأمراء من كانتبرية واشتوريش الذين اتخذوا من بنبلونه عاصمة لهم ، لوم يستطيع أمراء جليقية رغم الغزوات العديدة والمحاولات المستمرة التي شنوها على هذه الإمارة أن يضموها إلى مملكتهم لتفاني الباسك في الدفاع عن استقلالهم ، ومن زعماء هذه الإمارة وأبرزهم غرسيه انيجز Gracia - Inguez الذي يسميه ابن حزم[١] ملك البشاكسه والذي كان على صلة طيبة ببني قسي المولدين سادة الثغر الأعلى[٢] ، فقد ارتبط معهم برباط التحالف والمصاهرة وحارب مع زعيمهم موسى بن موسى بن فرتون ضد أوردونيو الأول في معركة شهيرة عرفت بمعركة البلد سنة ٢٤٨هـ / ٨٦٢م ، وخلفه غسيه بن فرتون الذي قضى فترة طويلة اسيراً في قرطبة ولكنه عزل عن الحكم بعد أن تغلب عليه شانجة غرسيه الأول Sancho Garcia1 ٢٩٣هـ ٣١٤/٩٠٥/٩٢٦م الذي كان أول من تلقب بلقب ملك من أمراء نافار وعدوه المؤسس الحقيقي[٣] لمملكة الباسك .

ويبدو بوضوح مما سبق صعوبة اندماج الباسك مع غيرهم ومحاولتهم الدائبة في عدم الخوض في علاقات وروابط إلا بما يؤمن لهم مصلحتهم وانفرادهم ، ولكن لو تأملنا منطقة الباسك ومحاولة لجوء الفارين من القوط والمنهزمين إليها خوفاً من المسلمين ، وتساءلنا ما هو أثر الصراع بين المسلمين في توسيع مناطق نفوذهم ونمو قوتهم وازدياد وحشيتهم ؟ وهذا ما سنجيب عليه من خلا دراسة دور ولاة بني أمية مع الباسك .

---

١ ـ ابن حزم : الجمهرة ، ص٥٠٢ .

٢ ـ الثغر الأعلى : ويمثل في الجغرافية الأندلسية ولاية الحدود الشمالية وهي ولاية سرقسطة Saragossa وأعمالها، ويقابل في الجغرافية الحديثة ولاية أرغون Aragon وتعد مدينة سرقسطة قاعده هذا الثغر ، وتحيط بالثغر الأعلى (سرقسطه) من الشمال والشرق والغرب الممالك النصرانية ، ويتميز هذا الإقليم بموارده الزراعية والتجارية فهو أقليم خصب ومنتج وأغلب سكانه من المولدين والنصارى وأهل الذمة ، وكان يحكم هؤلاء مصالحهم الخاصة ، وكان بعدهم عن العاصمة قرطبة وقربهم من النصارى دفع تغير موقفهم السياسي حسب مصلحتهم وساعدهم على تأييد الحركات الإنفصالية .

للمزيد انظر خليل السامرائي : الثغر الأعلى ، ص٣٩ .

رجب عبدالحليم :العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية ، ص٥٧ .

٣ ـ محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، جـ١ ، ص٣٦٢ .

ثالثًا : دور بني أمية مع الباسك :ـ

في الوقت الذي افتتح العرب بلاد الأندلس وقضوا على دولة القوط فرت مجموعات من القوط المنهزمين باتجاه المناطق الشمالية واجتمعت في هضاب كانتابريا Cantabria نافار وبسكونية في الشرق وهضاب اشتوريش Ashturias في الغرب واجتمعوا تحت لواء زعيم لهم يسمى بلايو[1] .

وكانت إمارة كنتبريه التي أسسها الدوق بتروس لوقوعها في الطرف الغربي من جبال البرتات في سهول نافار وبسكونيه مجالا لاقتحام الغادي والرائح إلى بلاد الغال.

ولم يعن المسلمون أثناء الفتح بأمر هؤلاء الشرانم الفارة إلى منطقة جليقية ، وكان فاتحًا الأندلس موسى بن نصير وطارق بن زياد قاد كل منهما حملة إلى جليقية للقضاء على بقايا هولاء القوط .

وتذكر الروايات[2] أن موسى سار في الجانب الأيسر لنهر الأبرو باتجاه الشمال حيث مر بمدينة أماية واخترق جليقية حتى وصل إلى استرقة ، وتذكر بعضها ثم ثم سار موسى في الجانب الأيمن لنهر الأبرو بإتجاه الشمال حيث دخل بلاد الباسك وأتى قومًا كالبهائم وربما فتح بنبلونه قاعدة النافار أو مر بالقرب منها[3] .

ثم سار طارق يسار نهر الابرو وفتح المدن والحصون وهاجم الباسك غربي الابرو ، ثم تابع سيره بفتح المدن والحصون حتى توغل في جليقية ، لذلك جاءت الروايات القائلة بأن طارقًا توغل في بلاد جليقية بعد فتح طيله وأشرف على ساحل خليج بسكاي سنة ٥٩٣هـ / ٧١٢م . ويبدو أن موسى قد وصل إلى بلاد الباسك ووجدهم يتكلمون بلغة غربية لا تفهم وهي اللغة البقشيه التي لا يفهمها لا المسلمون ولا

---

١ ـ بلايو أو بتروس أو بلاجيوس ، ينتمي هذا الزعيم إلى أحد الأصول الملكية ولا يعرف شيئًا عن أصله إلا بما تنعته أحد المصادر بأنه علج من علوج النصارى : انظر المقري : النفح ، ط١ ، ص١١ ، مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ص٢٨ .

٢ ـ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٣٥ ، مؤلف مجهول : أخبار ص١٥ ، المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٢٦٥ .

٣ ـ ابن عذاري : البيان ، جـ٢ ، ص١٦ ـ مؤنس : فجر الأندلس ص٢٤٢ .

الأدلاء الذين ساروا معه على الرغم من أنهم من شبه جزيرة أيبيريا[١] .

ويبدو أن حركة المقاومة النصرانية للمسلمين لم تقتصر على منطقة الصخرة في جبال اشتوريش بل أنها امتدت من بلاد الباسك في الشرق إلى الصخرة في الغرب على طول سلاسل جبال كانتابريه ، أما الممرات الشرقية للبرتات فقد ظهرت فيها المقاومة في أواخر عصر الولاة واستمرت خلال عصر الإمارة[٢] .

ولقد اختلف ! هل وصل المسلمون حقًا إلى بلاد الباسك منذ عهود الفاتحين الأول ؟ أم أن الفتح تم في عصر الأمير عبدالعزيز بن موسى بن نصير . فقد ذكر سالم: بأن فتح بنبلونه تم قبل وفاة حنش الصنعاني سنة١٠٠هـ / ٧١٨م أي في ولاية عبدالعزيز بن موسى ٩٥ ـ ٩٧هـ / ٧١٣ ـ ٧١٥ م .

أما أرسلان فقد حدد سنة ١٢١هـ / ٧٣٨م تاريخيًا لدخول المسلمين بنبلونه[٣]، ولو تتبعنا إنجازات الولاة في تلك الفترة المبكرة من عمر الولاية الإسلامية لوجدنا أنه في عام ٩٨هـ / ٧١٦م سيِّر الحر بن عبدالرحمن الثقفي والي الأندلس جيشًا إلى الشمال لإخضاع النصارى ، فاجتاح المسلمون بلاد الباسك وهضاب اشتوريش وارسلوا حليفهم الأسقف اوباس (أخو الملك وتيزا) إلى بلايو ليفاوضه ويقنعه بالإستسلام فرفض بلايو ولجأ إلى كهف منيع في صخرة تسمى بـ كوفادونجا Cova donga وتتبعه المسلمون إلى أعماق هذه الجبال ولكن لم يتمكنوا بسبب وعورة المنطقة ، وحوصر بلايو في منطقة الصخرة مدة وقطعت عنه وأتباعه المؤن حتى تساقطوا من الجوع ولم يبق منهم على حد قول الرواية العربية[٤] سوى ثلاثين رجلا وعشر نساء ، وتزعم بعض الروايات النصرانية[٥] أن بلايو خرج لملاقاة المسلمين وهزمهم ووقع أوباس

١ ـ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٣٥ ـ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٢٠ ـ المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٣٦٥ ـ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٢٤٣ ـ ابن عذاري : البيان ، جـ٢ ، ص١٦ ـ الحميري : الروض المعطار، ص٢٥٦ ـ ابن الأثير : الكامل جـ٤ ص١٢٣ ـ الغساني : رحلة الوزير، ص١٠٨ .

٢ ـ السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص١١٢ .

٣ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية ، جـ٢ ، ص١١٥.

٤ ـ مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٨ .

٥ ـ محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام ، جـ١، ص٢٦٥ .

حليف المسلمين في أيدي النصارى فحكموا عليه بالموت ، وقويت نفس بلايو وأصحابه وانضم إليهم الكثير من النصارى من كانتابريا وسهول جليقية واختاروه ملكًا عليهم لما رأوا من بسالته وقوته ، ولقي بلايو الفرصة لتوحيد سلطانه وتوسيع أملاكه فأخذ يغير على الأراضي الإسلامية الشمالية وبدا لحكومة الأندلس خطر هذه العصابات الجبلية التي أخذت تنتظم وتصبح قوة تخشى بأسها[١] .

وفي عهد الهيثم بن عبيد الكناني ١١٢هـ ـ ٧٣٠م بعث حاكم ولاية البرنيه ، وهو يومئذ الزعيم المسلم الذي تعرفه الرواية النصرانية باسم منوسه[٢] جيشًا إلى جبال اشتوريش لغزو جليقية ، وسحق أميرها بلايو ولكنه استطاع أن يصمد للمسلمين مرة أخرى وأن يلحق بهم هزيمة قوية ، وحينما أحس بلايو قوته اخترق بسكونية وهاجم قوات المسلمين في وقت رجوعها بعد أن قامت بعبور جبال البرتات ووصلت إلى وادي الرون وقامت ببعض الفتوحات ، ومزق بلايو بعض وحداتها ثم ارتد إلى هضابه فاستعصم بها . ولما اضطربت الأندلس بعد مقتل عبدالرحمن الغافقي ورجوع جيشه في بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م [٣] وشغل الولاة برد جيوش الفرنج عن الأراضي الإسلامية في منطقة سبتمانيا[٤] كثرت غارات العصابات الجليقية على الأراضي الإسلامية في شمال نهر دويره وفي منطقة استرقه Astorga[٥] وعانى

١ ـ المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٢٦٥ .

٢ ـ للمزيد عن أخبارهم انظر عبدالمحسن طه رمضان : تاريخ حركة المقاومة الاسبانية جـ١ ص١٨٣ ـ ١٨٦ .
شكيب ارسلان : غزوات العرب ص٣٨ ـ ٦٩ ـ عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص٩٩ ـ ١٠٠ .
Sherwan : muslim colonies in France Northem Italy and Switezerland P.45.
عبدالرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ،١٩٢ ـ ١٩٣ ـ مؤنس : فجر ، ص٢٥١ ، مؤنس : بلاي وميلاد اشتوريش ، ص١٩ .

٣ ـ المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٢٧٥ ، شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص١٢٨ ـ رينو : الفتوحات الإسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في القرن الثامن والتاسع والعاشر الميلادي ، ص٦٤ ـ خليل السامرائي : الثغر الأعلى ص١٧٥ ، السيد عبدالعزيز سالم تاريخ المسلمين ص١٤٢ . محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص٩٧ . حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٢٧٠ ، وفاء المزروع : جهاد المسلمين خلف جبال البرتات ، رسالة دكتوراه تحت الطبع ص١٣٠ ـ ١٤٦ .

٤ ـ سبتمانيه Septimania مقاطعة جنوب شرقي فرنسا تلو جبال البرتات و Sep تعني سبعة أي المقاطعة ذات المدن السبع منها اربونه العاصمة قرقشونه ـ وبيزيه ماجلونه ، لوديف ـ تيمه ـ أجده وسميت كذلك لاحتوائها على المدن السبعة وسميت أيضًا اللانجدوك أي ارض القوط . للمزيد انظر محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام جـ١ ص٧٣ .

٥ ـ استرقه مدينة من بلاد ليون شمالي اسبانيا انظر شكيب ارسلان : غزوات العرب ص١٠٢ .

المسلمون من هؤلاء النصارى[1] .

ولما تولى الأمير عقبة بن الحجاج السلولي حكومة الأندلس سنة ١١٦هـ / ٧٣٤م ورأى خطر العصابات الجليقية وعبثها وفسادها في أراضي المسلمين ، اتجه إلى هناك غازيًا عام ١١٨هـ /٧٣٥ ـ ٧٣٦م واستولى على بعض مواقعها ولكن النصارى امتنعوا في الجبال كعاداتهم ولم يستطع عقبة اختراق اراضيهم ، وقيل أن عقبة وضع خطة محكمة فقام ... بتحصين جميع المواقع الهامة واتجه إلى اللانجدوك Languedec حتى ضفاف الرون ثم شحنها بالمقاتلة وتوجه إلى شمالي الجزيرة وجعل اهتمامه منصبًا على ثوار اشتوريش ثم القضاء على جميع الإضطرابات السائدة في المنطقة بمهاجمة نبره (بنبلونه) ، ثم مواصلة الزحف غربًا إلى كنتبريه ثم الإتجاه إلى اشتوريش في الوقت الذي تمده بالعون الحاميات الإسلامية المقيمة في جليقية في الغرب بالزحف شرقًا فيضعف ذلك مقاومة المسيحيين ويشتت جهودهم ويفرق قواتهم للدفاع عن أنفسهم في جبهتين في وقت واحد وأصبح مسيحيو اشتوريش وكنتبريه ونبره على وشك مواجهة ضغط قوي من المسلمين .

وبدأ عقبة بإقتحام أراضي بنبلونه وفتحها وأقام حامية إسلامية فيها ثم اتجه غربًا فهاجم أراضي كنتبريه وفتح اجزاءها الشرقية المسماة بمنطقة ألفا Alva ثم انجدر شرقًا فنزل سرقسطة ومنها إلى البرتات وغاله[2] .

ويذكر ابن عذاري في هذا الصدد أن عقبة (افتتح جليقية بنبلونه واسكنها المسلمين وعمت فتوحاته جليقية كلها غير الصخرة ، فأنه لجأ إليها ملك جليقية وكان بها ثلاثمائة رجل فما زال المسلمون يضيقون عليهم حتى صاروا ثلاثين رجلا وحتى فنيت أزودتهم ولم يتقوتوا إلا بعسل يجدونه في خروق الصخرة واعيا المسلمين أمرهم

---

١ ـ وقيل أن عبدالملك بن قطن في ولايته الأولى سنة١١٤هـ / ١١٦هـ هاجم بلاد الباسك ودخل عاصمتهم بنبلونه . انظر مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ص٢٨ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٢٩ ، المقري : نفح الطيب ، جـ٣ ، ص١٩ .

٢ ـ للمزيد انظر مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٨ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٢٩ ـ ابن خلدون : العبر، جـ٤ ص١١٩ ـ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٧٣ ـ المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٢٢٠ ـ مؤنس : فجر، ص٢٨٠ ، عبدالمحسن رمضان: تاريخ المقاومة ، ص٢٨٤ .

فتركوهم)[1] وشبيه بهذا ما يذكره صاحب أخبار مجموعة « ولم يبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة فلاذ بها ملك يقال له بلاي فدخلها في ثلاثمائة فلم يزل يقاتلونه ويغادرونه حتى مات أصحابه جوعًا وترامت طائفة منهم إلى الطاعة فلم يزالوا ينقصون حتى بقي ثلاثين رجلا ليس معهم عشر نساء ، وأعيا المسلمين أمرهم فتركوهم وقالوا ثلاثون علجًا[2] ما عسى أن يكون أمرهم واحتقروهم »[3] .

ولعل هذه الحملات المبكرة إلى بلاد الباسك تدل على أنهم بدأوا في مقاومة المسلمين في بداية عصر الولاة حيث تصدى لهم الولاة الأول ، وإزداد خطرهم بعد معركة البلاط وارسلت إليهم الحملات المتعاقبة . ولعل تبكير الباسك في المقاومة يعود إلى طبيعة هذه الشعوب الشديدة التمسك بقوميتها وحريتها وعدم رضوخها لأي سيطرة أجنبية عليها مدى العصور[4] .

واشتدت مقاومة الباسك في عهد يوسف الفهري ١٢٩ ـ ١٣٨هـ / ٧٤٦ ـ ٧٥٥م بلايو وجماعته في جليقية شجعهم على التمرد والمقاومة و (كان أهل بنبلونه قد نقضوا بنقض أهل جليقية ....)[5] فأرسل الوالي يوسف الجيش لمهاجمة الباسك وبلاد جليقية بقيادة سليمان بن شهاب والحصين بن الدجن وفشل هذا الجيش في أداء هذه المهمة في أواخر سنة ١٣٧هـ / ٧٥٤م ومعنى هذا أن أهل بنبلونه تمردوا على حكومة قرطبة وشجعهم على ذلك نجاح حركة بلايو من جليقية[6] .

كانت بلاد الباسك في بداية أمرها تحت سلطة بعض النبلاء التابعين لفرنسا أو لحكام من كنتبريه أو أمراء من استرياس . وفي العموم نجهل أصول نشأة هذه الدويلة النصرانية ،إلا أنها ظهرت إمارة مسيحية مستقلة وكان لها دور بارز في محاربه

١ ـ البيان : جـ٢ ، ص٢٩ .

٢ ـ العلج : العلوج جمع علج ـ بكسر العين وسكون اللام ـ وهو في الأصل الحمار الوحشي إذا كان سمينًا ، ثم قالوا لكل قوي ضخم علج ، ثم اطلقوه على الرجل من كفار العجم ـ المقري : نفح الطيب جـ١ ، ص٢٣٤ .

٣ ـ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٨ .

4-Lewis Bernard : Istamic History. P.4.

٥ ـ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ،ص٧٦ ، ابن الأبار : الحله السيراء ، جـ٢ ، ص٢٥٥ .

٦ ـ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٣٢٣ .

المسلمين في عصر الإمارة ، كما أن الجماعات المسيحية الجبلية في أواسط جبال البرتات ازداد خطرها وكان اشدها خطراً تلك التي ظهرت في منطقة الشمال الغربي من أسبانيا[١] .

واستمر بلايو في حكم إمارة جليقية تسعة عشر عاماً وتوفي سنة ١٢٠هـ / ٧٣٧م ، وخلفه ولده فافيلا ولكنه توفي بعد حكم لم يطل أمده سوى عامين سنة ١٢٢هـ / ٧٣٩ م ، وكان الدوق بتروس أمير كانتابريا قد توفي وخلفه ولده الفونسو دوق كانتابريا ، ونمت هذه الإمارة الصغيرة وتوحدت بزواج أميرها الفونسو من ابنة بلايو االتي تدعى أرموزنده ، ولما توفي فافيلا ولد بلايو اختار الجلالقة الفونسو دوق كانتابريا ملكًا عليهم واتحدت الإمارتان وقامت مملكة نصرانية واحدة هي : مملكة ليون النصرانية ـ ومملكة جليقية ـ وامتدت من بلاد الباسك شرقًا إلى شاطئ المحيط غربًا ومن خليج بسكونيه شمالا إلى نهر دويره جنوبًا ، وتشمل مناطق شاسعة من القفر والهضاب الوعرة ، وتحتجب وراء جبال بعيدة عن سلطات المسلمين وغزواتهم ، ويعتبر الفونسو دوق كانتابريا أو الفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي مؤسس المملكة النصرانية الشمالية . وان من حسن حظه حينما تولي أن كانت الحرب الأهلية تمزق بلاد الأندلس وكان أمر الولايات الشمالية في فوضى وضعف[٢] .

وكان ثمة منطقة عظيمة من القفر من والخراب تفصل بين جليقية والأراضي الإسلامية فاجتاحها الفونسو بمجموعة من رجاله وقتل من بها من المسلمين ودفع النصارى إلى الشمال[٣] .

ولما حل القحط بالأندلس سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م واشتد عصفه بالولايات الشمالية الغربية جلا كثير من المسلمين عن تلك الأنحاء ، واشتد ساعد النصارى فيها

---

١ ـ للمزيد انظر خليل السامرائي : الثغر الأعلى ، ص١٠١ وأول هذه التجمعات تمركزت في الطرف الشرقي من جبال كنتبريه تحت زعامة بلايو .

٢ ـ عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص١٣٨ .

٣ ـ مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص٦١ ـ ٦٢ .

ورفعوا لواء الثورة وقضوا على المسلمين ونادوا بالفونسو ملكًا عليهم وانتهز الفونسو الفرصة فغزا استرقه وضمها لأملاكه عام١٣٦هـ / ٧٥٣م [١] .

وقام الفونسو بعد ذلك بأن عهد إلى اخيه فرويلا بالقسم الشرقي من مملكته فكان يغير على الأراضي الإسلامية المجاورة ويعيث فيها نهبًا وسلبًا وقتلا ، وكان ذلك في أيام يوسف بن عبدالرحمن الفهري أمير الأندلس والمشغول آنذاك بالقضاء على الفتن والثورات واصبحت منطقة الثغور (الحدود) التي تفصل ملك المسلمين عن ملك النصارى قبل تأسيس دولة بني أمية في الأندلس : تبدأ من بنبلونه في الشمال الشرقي ثم تنحدر إلى القسم الشرقي من البه والقلاع (قشتاله) ثم إلى الجنوب من سلمنقهSalamanca ثم يتجه غربًا وينتهي عند قلمريه Comibra وبذلك سيطر الفونسو الأول على أهم المدن الشمالية مثل افراغه Praga وليون واسترقه وامايه وسمورة وغيرها[٢] .

وتوفي الفونسو عام ١٤٦هـ / ٧٦٤ م وتولى أخوه الفونسو من بعده حكم مملكة النصارى لكن لم يعش طويلا وتوفي فرأى فرويلا الأول [٣] الفرصة سانحة لغزو الأراضي الإسلامية فعبر نهر دويرة في جيش ضخم وغزا (لك) (وبرتغال) و (شملنقه) أو (شقوبيه) وابله سموره وقشتاله ، واستولى عليها من المسلمين وعاث في تلك المنطقة سفكًا وتخريبًا وضمها إلى أملاكه وصارت جزءًا من مملكة جليقية ، وتختلف الرواية الإسلامية في تاريخ هذه الغزوة فيضعها ابن الأثير[٤] قبل ذلك بأعوام من حوادث سنة ١٤٠هـ /٧٥٨م ، ويضعها ابن خلدون[٥] بعد سنة ١٤٢ هـ بعد سنة ١٤٢هـ والذي يعنينا أن هذه الغزوة تعد من أعظم ما قام به النصارى في الأراضي الإسلامي بعد افتتاح الفرنجة لسبتمانيا واستيلائهم على اربونه وبذلك تفقد دولة

---

١ ـ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٦٢ ، ابن عذاري : البيان ، جـ٢ ، ص٣٨ .

٢ ـ خليل السمرائي : الثغر الأندلسي ، ص١١٢ ، ١١٣ ـ حسين مؤنس : فجر الإسلام ، ص٣٤٩ .

٣ ـ عبدالرحمن الحجي : أندلسيات ، جـ٥ ، ص٤٣ .

٤ ـ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص١٨٦ .

٥ ـ ابن خلدون : العبر، جـ٤ ، ص١٢٢ ـ ١٨٠ .

الإسلام في الأندلس أعظم منطقتين في وقت قريب جداً .

بينما كانت الأندلس مشغولة بتلك الفتن والحروب الأهلية المتعاقبة التي شجعت الفرنجة النصارى على اقتطاع الأطراف النائية من جسم الدولة الإسلامية ، كانت الدولة العباسية قد ظفرت بملك بني أمية بالمشرق ومزقت شملهم وطاردت فلولهم ولم ينج من هذه المذبحة الهائلة إلا فتى من ولد هشام بن عبدالملك هو عبدالرحمن بن معاوية ابن هشام ، الذي استطاع الفرار إلى بلاد المغرب وبث أنصاره ودعاته للتمهيد له لحكم الأندلس حيث كانت الأوضاع تشجع على ذلك لما بين زعمائها من اليمنية والمضرية من خلاف ونزاع ولاحت له الفرصة سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م ، فنزل بساحل البيره حيث تجمعت عصبية بني أمية ومواليهم وبث دعوته بين أصدقائه وشيعته حتى تمكن من لقاء والي الأندلس يوسف الفهري الذي استطاع هزيمته في يوم يسمى بيوم المصارة سنة ١٣٨هـ / ٧٥٦م ، واستطاع المصارة بعد أحداث وخطوب عظيمة أن يدخل الأندلس ويفتتح عاصمتها وينتزع إمارتها لنفسه ، ولكن الفتن والمشاكل كانت قد عصفت بهذا العصر من كل صوب فالعصبية كانت شديدة بين المضرية واليمنية من ناحية وبين العرب والبربر ، بالإضافة إلى انتزاع الفرنجة أجزاء من الأراضي الإسلامية في غمرة هذه الفتن ، وتربص نصارى الشمال واتصالهم بزعماء الخوارج لاتخاذهم وسائل لتحقيق مشاريعهم في تمزيق الأندلس .

لذلك قطع الداخل أعوامه التالية في كفاح مستمر بتلقي وثبات الخوارج عليه من كل صوب[1] .

ولم يكن عبدالرحمن في غفلة عما يفعله النصارى ففي عام ١٤٨هـ / ٧٦٦م فقد أرسل بعض قواده إلى الشمال على رأس قوة كبيرة فسارت حتى حدود جليقية واشتبكت مع النصارى من عدة مواقع وعادت مثقلة بالغنائم والأسرى[2] ، وفي

---

١ ـ انظر المقري نفح الطيب جـ١ ص٣٢٩ ابن عذاري : البيان المغرب جـ٢ ص٥٩ ـ محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام جـ١ ص١٤٧ـ ١٤٨ .

٢ ـ ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص٥٩ ـ ويجعل تاريخ هذه الحملة ١٤٩هـ ـ ابن عذاري : البيان المغرب جـ١ ص٢١٦ .

سنة١٥٠هـ/٧٦٧م بعث عبدالرحمن جيشاً بقيادة مولاه بدر إلى جبال البه والقلاع وهي المنطقة الواقعة بين بلاد الباسك وجبال كانتابريا على ضفاف نهر ايبرو في الطرف الشمالي من مملكة جليقية ، فغزاها وتوغل فيها وأرغمها على أداء الجزية وقبض على كثير من العصاة في تلك الأنحاء[1] .

ثم تغيرت طبيعة العلاقة بين المسلمين وبين مملكة جليقية وذلك بدخول أطراف أخرى في هذا الصراع وعلى رأس هذه الأطراف مملكة الفرنجة في غاله على عهد شارلمان .

وترجع بداية هذا الموضوع عندما بدأ حكام الثغر الأعلى المسلمين يتذمرون من نجاح الداخل فبادروا بالإتصال بالفرنجة سنة١٥٧هـ /٧٧٤م ، ففي سنة ١٥٧هـ /٧٧٤م ثار سليمان بن يقظان الكلبي (أو الأعرابي) والي برشلونه وجيرونه والحسين بن يحيى وخلعه[2] وكان لاستمرار الثورة في الجنوب وانشغال الداخل بقمعها وطبيعة الشمال الجبلية إضافة إلى منعته الحسين بن يحيى الأنصاري والي سرقسطه وتحالفا على قتال عبدالرحمن وخلعه وبعده عن مركز الدولة زكى عوامل الثورة في تلك الولايات وشجع هؤلاء عليه ، وكان الداخل مشغولا بمقاتلة الفاطمي[3] فأرسل إلى الشمال جيشاً بقيادة ثعلبة الجذامي فهزمه سليمان واسره عام ١٥٨هـ ٧٧٥م ، وفكر الثوار بعد ذلك في الإستعانة بشارلمان واتجه سليمان عام ١٦٠هـ/٧٧٧م إليه وعرض مشروعه والمحالفة على قتال عبدالرحمن وغزو الولايات الأندلسية الشمالية وتعهد بمعاونته وتسليمه المدن التي يحكمها هو وصحبه ولا سيما سرقسطة وأن يسلمه ثعلبة الجذامي أسير عبدالرحمن الداخل ، ووافق ملك الفرنج دعوة الثوار وبعث إليه سليمان بأسيره عنواناً للثقة فسجن في إحدى القلاع الفرنسية . وبدأت العلاقات تنتظم بين الزعماء

---

١ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص٥٦ ـ المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص١٥٦ .

٢ ـ رجب : الأندلس الإسلامية ، ص٥٧ .

٣ ـ الفاطمي : داعية بربري يدعى شقنا أو شقيا بن عبدالواحد المكناسي وأصله من بربر مكناسه كان فقيهاً يعلم الصبيان ، وزعم أنه سليل النبي ومن ولد فاطمة والحسين وتسمى بعبدالله بن محمد وذاعت دعوته بين البربر . للمزيد أنظر ابن عذارى : البيان الغرب ، جـ٢ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ـ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص١١١ ابن الأثير الكامل جـ٦ ، ص١٧ .

المسلمين الخارجين على قرطبة وبين الفرنجة المتربصين بدولة الإسلام ، وكان الزعماء الخوارج كلما حاولوا الثورة والإستقلال بحكم مدينة أو ولاية اتجهوا إلى الفرنجة يستمدون منهم العون والنصرة وكان الفرنج يسارعون لتلبية ذلك ويتخذون منها ذريعة للتدخل في شئون المسلمين ، ويبدو أن الغرض الرئيسي وراء هذا التأييد الفرنجي كان غرضاً سياسياً يرمي إلى الحد من خطر الغزوات الإسلامية لبلاد الغال[١].

وكان شارلمان مهيئاً فقد انتهى من حربه في سكسونيه[٢] Saxonia (دوقية ألمانية) وهزم القبائل الوثنية الجرمانية واخضع زعيمها فيدكند Widkind، وبعد ذلك اتجه في عام ٧٧٨/٧٧٧م / ١٦١هـ في قواته التي قسمها إلى جيشين عبر أحدهما جبال البرنيه من الناحية الشرقية وعبرها القسم الثاني بقيادته من الناحية الغربية مخترقين الطريق الروماني القديم المشرف على نهر رونسفال الوعرة على أن يجتمع الجيشان على ضفاف نهر الأبيرو أمام سرقسطة حيث يتلاقى مع حلفائه من المسلمين . وأول عمل قام به إختراق بلاد الباسك (نافار الحديثة) ومحاصرة عاصمتها بنبلونه وهي قلعة النافاريين واستولى عليها وكان هؤلاء كما قدمنا شعباً يحرص على استقلاله ولا يعود الخضوع لأي جهة ، فقام شارلمان بمحاصرتهم وأخذهم بالعنف .

أما الجيش الفرنجي الذي اخترق شرق البرنيه فلم تصادفه أي عقبات وحينما اجتمع الجيشان ظن شارلمان أنه سيلقي حلفاءه المسلمين على أهبه لمعاونته وتحقيق اطماعه . ولكن الحوادث تطورت وحدث نزاع بين الخوارج المسلمين ، فكان الحسين بن يحيى الأنصاري والي سرقسطة حليف سليمان قد نقم على سليمان موقف الزعامة فنشبت بينهم خصومات وخشى عاقبة التورط في حلف مع الفرنجة فعدل عن موقفه فلما اقبل شارلمان رفض الحسين استقباله وحصن مدينته ، ولما عجز سليمان عن تحقيق وعوده مع شارلمان في تسليم المدن والحصون الواقعة في تلك المنطقة . ارتاب شارلمان في نواياهم فقبض على سليمان وارتد بجيشه نحو الشمال الشرقي في طريق

---

١ ـ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة / ص١١٢ ـ ١١٣ ـ ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٢١ ـ العذرى : ترصيع الأخبار ص١٢٥ .

2- Cam , Med , Hist.,11, p.613.

العودة سنة ٧٨ م / ١٦١هـ خصوصاً أنه وصلته أخبار ارتداد السكسون[1] عليه ، فقرر العودة وفي طريقه بعد أن رأس قواته ومن معه من الأسرى والرهائن وعلى رأسهم سليمان سار شمالا إلى بلاد الباسك وكان النافاريون قد جمعوا فلولهم واعتزموا الدفاع عن عاصمتهم بنبلونه وعن حرياتهم خصوصاً وقد شجعهم موقف الحسين الأنصاري والي سرقسطة ووقوفه في وجه شارلمان ، وانضم إلى الباسك الكثير من المسلمين من أبناء المناطق المجاورة للتعاون معه ولكن شارلمان هاجم بنبلونه بعنف ولم تجد بسالة النافاريين وحلفائهم المسلمين شيئًا فتركوا المدينة وتفرقوا في مختلف الأنحاء ، واستولى شارلمان على بنبلونه للمرة الثانية وهدم حصونها وأسوارها حتى لا تعود إلى المقاومة إذا عاد إلى تلك الأنحاء ولكي يمهد لجيشه طريق العودة المأمون إلى فرنسا .

وغادر بنبلونه متجهًا إلى جبال البرتات عن طريق هضاب رونسفال المؤدية إلى باب الشزري ، على أن مطروح وعيشون أبناء سليمان قاما بالهجوم على شارلمان وانقذا أباهما ورجعا به ، وهناك روايات تذكر أن مطروح وعيشون هجما على مؤخرة جيش شارلمان وفصلوه عن بقية الجيش وانتزعا منه الأسلاب والأسرى ومنهم سليمان بن يقظان ، وروايات أخرى تذكر أن الذين هاجموا مؤخرة شارلمان حين رجوعه الباسك انتقاماً لما أنزله الفرنجة ببلادهم وعاصمتهم[2] .

ومن المرجح أن العرب الباسك اشتركوا سويًا في الهجوم على مؤخرة جيش شارلمان فالعرب لانقاذ ابن الأعرابي ، والباسك لما حل بهم وهلكك خلال هذا الهجوم عدد كبير من سادة الجيش الفرنجي وفرسانه وكانت نكبة مروعة لبث صداها يتردد مدى عصور في أمم الغرب والنصرانية[3] .

1- Pirenne , Hist of Europe P.8.

2-Pirenne op.cit,82- Stepfenson
Medievai History - Washington1944 P273-278.

٣ـ أخبار مجموعة ص١١٢ ـ ١١٣ ـ المقري : نفح الطيب جـ٢ ص٧٣ ـ ابن الأثير : الكامل جـ٦ص٥ ـ ٢١ ـ ابن خلدون العبر ، جـ٤ص١٢٤ ـ عنان : جـ١ ص١٦٩ ـ ١٨٤ . Roger collines: The Basques. P.118

وهكذا كانت العلاقات بين الباسك والرومان والفرنجة والجليقيين وغيرهم من الإمارات تتذبذب بين السلم والحرب حسب مصالح واهتمامات حكامها ومطامعهم ، فحينما تكون هناك منفعة مشتركة للجميع يحصل التقارب بين هذه الإمارات لمواجهة المسلمين في الأندلس ، ولكن تضارب المصالح والنزاع على السلطة بين أفراد الأسر الحاكمة أو ثورات النبلاء ، ومحاولاتهم للإستقلال كانت تدفع بعض هؤلاء الأمراء الأسبان طلب العون من الأمراء الأمويين ، يضاف إلى ذلك فإن سوء الأحوال الداخلية كثيراً ما كانت تفرض على حكام الإمارات الأسبانية عقد المسلم والمهادنة ، ولكن إذا ما شعروا بالقوة أو بإنشغال المسلمين في مشكلة داخلية لا يترددون في نقض عهودهم وغزو الأراضي . ويمكن القول أن علاقات هذه الإمارات مع جيرانها كانت تشمل إلى جانب الحروب أموراً أخرى تبرز في أوقات السلم والصفاء كالمراسلات والمهادنات بما يتناسب مع المصلحة العامة[١] .

هذا وقد تميز عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن الداخل ١٧٢ ـ١٨٠هـ / ٧٨٨ ـ ٧٩٦م بتركيز الجهاد مع غاله (الفرنجة) ومع مملكة ليون ، ولم تمدنا المصادر المتوفرة بشئ عن حملات إسلامية أرسلت في عهد وخاصة في منطقة الثغر الأعلى شجعت الفرنجة على تحريض قبائل الباسك والجلالقة على مهاجمة المناطق الإسلامية المجاورة لها ، ولهذا كانت حملات الأمير هشام عنيفة وشديدة إلى بلاد الفرنجة ومملكة ليون فقد كانت ذات هدف مشترك هو ضرب بلاد الباسك حلفاء ليون[٢] .

أما في عهد الأمير الحكم بن هشام ١٨٠ ـ ٢٠٦هـ / ٧٩٦ ـ ٨٢١م فقد استهل عهده بالجهاد فسير جيشاً بقيادة عبدالكريم بن عبدالواحد سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م وقسمة إلى ثلاثة أقسام كل إلى هدفه ، وفتح هذا الجيش حصن قلهرة Calahorre الواقع في أعالي نهر الأبرو وتوغل في بلاد الباسك وفتح الكثير من الحصون ثم عاد ظافراً[٣] ونتيجة لإنشغال الحكم بحركات التمرد والثورة اضطر إلى ترك الجهاد مؤقتاً

---

١ ـ خليل السامرائي ، عبدالواحد طه ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص١٣٦ .

٢ ـ عنان : دولة الإسلام ، جـ١ ، ص٢٢٣ ـ السامرائي : الثغر الأعلى ، ص١٦٥ .

٣ ـ ابن عذاري : البيان ، جـ٢ ، ص٦٩ . عنان : نفس المرجع السابق ، ص٢٢٨ .

من أجل إخماد هذه الفتن[١] .

وعندما تولى عمروس بن يوسف إمارة سرقسطة أمره الحكم بمواصلة الجهاد فحارب الباسك وتبادل الطرفان النصر والهزيمة وأسر الباسك ابنه يوسف[٢] ثم تمكن من فك اسره ، واستمر الباسك يكررون هجماتهم على منطقة الثغر الأعلى بانتصار عمروس عليهم حتى استعانوا بمملكة ليون فجهز إليهم الحكم جيشًا قويًا بقيادة الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث ٢٠٠هـ / ٨١٥م فتصدى للجيش الإسلامي بلشك الجلشقي (وهو زعيم من الباسك) ويطلق عليه فلاسكو Velasco بمعونة مملكته ليون واستمرت المعركة بين الطرفين ثلاثة عشر يومًا إندحرت فيها قبائل الباسك وقتل شانجة فارس بنبلونه كما قتل غرسيه بن لب خال الفونسو الثاني وغيرهما[٣] .

وفي تلك الفترة بدأت نبرة في الظهور على المسرح السياسي منذ بداية القرن ٣هـ/٩م وكانت قبل ذلك تسير في فلك جليقية واباطرة الفرنجة[٤] .

أما في عهد الأمير عبدالرحمن الثاني فقد جنحت نبرة إلى السلم بسبب إحساسها بقوة الإمارة الأموية من ناحية وتعرض إمارة نبرة لهجوم فرنجي من ناحية أخرى ، فلقد تعرضت نبرة عام ٢٠٩هـ / ٨٢٤م بقيادة أزنار وابلو الكونتيين لهجوم شديد فاستغاث الباسك بالمسلمين ولبى ندائهم بنو موسى أو بنو قسي أصحاب تطيله، وكانت هذه المعاونة بمباركة الدولة الإسلامية في الأندلس وأحرز المسلمون والباسك على الفرنجة نصرًا ساحقًا واسر القائدان أزنار وابلو ، وقد أثار هذا الحادث ذكريات موقعة باب الشزري الكبرى التي نكب فيها الفرنج أيام الأمير عبدالرحمن الداخل[٥] .

وبناء على هذا التحالف أرسل الباسك سفارة إلى بلاط الأمير عبدالرحمن الثاني وابرمت معاهدة بين الطرفين تتضمن مساعدة المسلمين لنبرة في صد أي اعتداء

---

١ ـ عنان : نفس المرجع السابق ص٢٢٨ .

٢ ـ النويري : نهاية الأرب ، جـ٢٢ ، ص٣١ .

٣ ـ ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص٣١٨ ـ النويري : نهاية الأرب جـ٢٢ ص٣٩ ـ ٤٠ .

٤ ـ خليل السامرائي : الثغر الأعلى ص١٦٧ . أرسلان : غزوات العرب ص١٩٣ .

السامرائي : الثغر الأعلى ص١٦٧ — 5- Livrmor: The Origins of Spain and Pertugl .p.82

خارجي ، وتساعد نبرة المسلمين حين يعبرون جبال البرتات إلى غاله (بلاد الفرنجة)[1].

وهكذا تباينت مواقف الباسك من تأييد للمسلمين وتبادل سفارات وعلاقات دبلوماسية قوية من جهة ومن حرب ومشاكل من جهة أخرى حسب ما تقضيه المصلحة فتارة معهم وتارة عليهم[2] .

وكان الكونت أزنار قد استطاع العودة إلى نبرة بعد أن فك أسره واستمر في حكمها حتى عام ٢٢١هـ / ٨٣٦م ، وجاء بعده أخوه شانجه وانتزع منه إمارة نبرة غرسيه بن ونقه أحد زعماء الباسك ومنه جاءت الأسرة المالكة التي حكمت نبره بعد ذلك[3] .

وظهور هذه الأسرة بدأت العلاقات بين نبرة والمسلمين تأخذ مساراً أخر بمهاجمة الأراضي الإسلامية معتمدين على مصاهراتهم مع بني قسي ، وكان أنجو أرسته Ingo Arista المسمى بإسم ونقه بن شانجه قد تزوج أرملة موسى بن فرتون بن قسي حاكم نطيله في الثغر الأعلى الأندلسي ، ثم توفي عام ٢٠٥هـ / ٨٢٠م واشتهر أولاده الثلاثة غرسيه ، وفرتون أخو موسى بن موسى لأمه ، وغرسيه أنجين وتسميه المصادر الإسلامية غرسيه بن ونقه ويبدو أنه هو الذي تولى الأمر بعد وفاة أبيه ويظهر هذا في الأحداث منذ عام ٢٢٧هـ / ٨٤١م[4] ، ونتيجة لهذه العلاقات النامية بدأت هذه الأسرة تثير المتاعب لدولة الإسلام بعد أن ساعدتها في حروبها ضد نصارى الشمال .

وكان موسى بن موسى القسوي أول من أعلن الخلاف من بني قسي علي بني أمية وتذكر رواية العذري (أن سبب نقض موسى الطاعة أن عبدالرحمن الثاني كان قد ولي عبدالله بن كليب على سرقسطة وعامر بن كليب على تطيلة فأغار عبدالله على أموال بنقه بن ونقه أخو موسى لأمه ، واعتدى عامر بن كليب على أملاك موسى دخيله وانتهب

---

١ ـ عبدالرحمن الحجي : أندلسيات ، جـ٢ ، ص٧١ .

٢ ـ ارسلان : غزوات ص١٩٢ ـ السامرائي : نفس المرجع السابق ، ص١٦٧ .

٣ ـ خليل السامرائي : نفس المرجع ، ص١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ١٦٨ .

٤ ـ العذرى : ترصيع الأخبار ص٢٩ ـ السامراني : الثغر الأعلى ص١٦٠ ـ رجب : العلاقات ص١٥ .

أمواله وخرب حدائقه فعندئذ أعلن الخروج والوصيلة سنة ٢٢٦هـ / ٨٤٠ فسار عبدالرحمن إلى بلاد الباسك وتوغل حتى بنبلونه وعاث فيها نسفًا وتخريبًا ، وسبى من أهلها جموعًا كثيرة[١] فتخلف موسى عن اللحاق بالمطرف (ابن عبدالرحمن) فأرسل عبدالرحمن الثاني حارث بن بزيع وولاة سرقسطة وأمره بحرب موسى ، ولكن موسى أسره وقضى على جيشه[٢] .

أزاء ذلك صمم عبدالرحمن على القضاء على موسى بن موسى فلجأ موسى للتحالف مع الباسك ، فخرج عبدالرحمن الثاني على بمبلونه عام ٢٢٧هـ / ٨٤٢م بقيادة ابنه المطرف واثخن فيهم وقتل وسبي وعاد إلى قرطبة ، وعاد في العام التالي لعقاب موسى بن موسى بتطيلة فحاصرها واخضعها ، ثم عاد زاحفًا على بلاد الباسك ولقيه غرسيه وحليفه موسى بن موسى في جموع كبيرة وهزمهم عبدالرحمن هزيمة شديدة وفر موسى وحليفه جريحين ودخل بمبلونه ، فإضطرت نبره لطلب الأمان والصلح[٣] ووافق الأمير بسبب غزو النورمان[٤] للأندلس للمرة الأولى سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩ م[٥] ، فعقد عبدالرحمن الأمان لينقه ابن ونقه أخو موسى لأمه وأقره على بلده على شرط أن يؤدي الجزية ومقدارها ٧٠٠ دينار كل عام ، كما عقد الزمان لكونت سرد ابنه على شرط أن يرد هو وأمير بنره (نيقه) جميع ما بقي من سبي المسلمين من وشقة[٦] .

---

١ ـ العذري نفس المرجع السابق ، ص٢٩ .

٢ ـ ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٦ .

٣ ـ العذري : نفس المرجع السابق ، ص٣٠ ـ ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص١٣٠ .

٤ ـ ابن عذاري : نفس المصدر السابق ، ص١٣٠ .

٥ ـ النورمان : عرف هؤلاء الأقوام بعدة أسماء منها النورمان ، الأردمانيون ، الفايكنج والمحوس . فلفظ النورمان محرف منNorthmen أي سكان الشمال وهؤلاء هم من سكان الخلجان التي تمتاز بها شواطئ الجهات الشمالية الغربية في أوروبا وينتسب هؤلاء إلى الجنس الآري وينقسمون إلى ثلاث مجموعات السويديون والنرويجيون ، والدانمركيون وموطنهم الأول شبه جزيرة اسكندناوة وشبة جزيرة جوتلند . وما يجاورها من الجزر هناك ، ومنهم من يقول أنهم من شواطئ ألمانيا الشمالية ، ولقد بدأت اغاراتهم منذ القرن ٣هـ على شواطئ غاله ومصب اللوار والجارون حتى استطاعوا انشاء عدد من المراكز في تلك المناطق . أما خروجهم وغاراتهم على شواطئ أوروبا الغربية فترجع إلى خصب الأندلس وما عرف عن خيراتها وغناها ، وكانت هذه الأمة من الأمم البحرية العريقة التي تمرست في ركوب البحر للمزيد أنظر وفاء المزروع : الخليفة الأموي الحكم المستنصر، ص٦٤ـ٦٥ . عن ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص١٦ ابن عذاري : البيان ، جـ٢ ، ص٨٧ ـ ابن حيان : المقتبس ، ص٢٩٤ .

٦ ـ العذري : ترصيع الأخبار ، ص١٣٠ ـ ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٣٠ .

في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن : ٢٣٨ ـ٢٧٣ / ٨٥٢ ـ ٨٨٦ م لم يكد الأمير محمد الذي تولى السلطة بعد أبيه الأمير عبدالرحمن الثاني يفرغ من القضاء على المشاكل التي احاطت به من ثورة طليطلة عام ٢٤٠هـ / ٨٥٤م وفتنه النصارى المعاهدين ٢٤٢هـ /٨٥٦ وخطر النورمان ٢٤٥هـ /٨٥٩م الذين هاجموا إلى نبره واسروا ملكها غرسيه ثم اطلقوا سراحه نظير فدية كبير ، لم يكد ينتهي من ذلك كله حتى شرع بالقيام بحملات على بلاد الباسك فدخل نبره ولم تكن قد أفاقت بعد من ضربة النورمان ، وغزا بمبلونه عام ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م وخرب حصونها ، وافتتح حصن فيروس ، فالحسن ، والقشتل ، وقام بأسر فرتون بن غرسيه أمير نبره وسجنه في قرطبه العاصمة لمدة عشرين عامًا ثم أطلقه وكانت نبره متحالفة مع مملكة جليقية ومع ملكها اردون ، أما أسرة بني قسي بقيادة موسى بن موسى فكانت في طاعة قرطبة[1] ولم تكن إلا طاعة اسمية حسبما تقتضيه ظروفها ومصالحها فقد كانت علاقاتها مع كل من نبره وليون تتردد حسب ظروفها .

وكانت بلاد الباسك آنذاك مملكة صغيرة تخشى على نفسها من مطامع جارتها القوية ليون . وحدث أن قام موسى بن موسى ببناء حصن يسمى حصن البلدة جنوبي لوجر ونبو Logrono أحد فروع نهر ابره من الجنوب فقام ملك ليون عام ٢٤٨هـ ٨٦٢م بهدمها وقابل قوات موسى وصهره غرسيه في معركة حاسمة هزم فيها موسى وجرح ، وسقط غرسيه قتيلا ، ثم توفي موسى متأثرًا بجراحه عام ٢٥١هـ / ٨٦٥م[1] .

وكانت هذه الهزيمة ضربة شديدة أصابت بني قسي في الشمال وأدت إلى قيام لب بن موسى بمهادنه اردون ومحالفته على قتال المسلمين ، كما كانت ضربه قاسية لإمارة نبره عاشت فيها فترة ضياع وضعف وتوقف لممارسة أي نشاط عسكري أو سياسي لمدة عشر سنوات .

---

١ ـ ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ، ص١٤٦ ـ ابن الأثير : الكامل جـ٧ ، ص٣١ .

٢ ـ عنان : دولة الإسلام ، جـ٢ ، ص١٤ .

Liver more (Harold): Ahistory of Spain, (London-1958-P.83.

ثم شغلت دولة الإسلام في الأندلس بثورة أولاد موسى بن موسى القسوي واستيلائهم على الثغر الأعلى واستعانتهم بنصارى الشمال وخاصة الباسك ونصارى مدينة سرطانية[1] فكان على قوات الأمير محمد بن عبدالرحمن أن تقضي على قوات المتمردين من ناحية وقوات نصارى الشمال من ناحية أخرى .

وفي عام ٢٥٩هـ / ٨٧٢ م قام الأمير محمد نفسه بمحاصرة بني موسى وأخضعهم ثم اتجه إلى بلاد الباسك فخربها وأذل أهلها وعاد إلى قرطبة ، وتتابعت حملات الأمير محمد على سرقسطه ومنها إلى نبره في عامي ٢٦٠هـ - ٨٧٣م - ٢٦٤هـ -٨٧٨م واستطاع الأمير محمد استرداد سرقسطه بواسطة بني قسي الذي باعوها بالمال عام ٢٧٠هـ ٨٨٣م وأعطيت لكبيرهم محمد بن لب بن موسى كل من ولاية ارنبط وطرسونه فاستقامت طاعته وقام بدور كبير في الوقوف في وجه الباسك بعد ذلك[2] في عهد الأمير المنذر بن محمد ٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦ - ٨٨٨م . ولا تذكر لنا المصادر شيئًا عن جهاده ضد الباسك وربما يعود ذلك إلى الفترة البسيطة التي لا تتعدى الثلاث سنوات بالإضافة إلى انشغاله بحرب عمر بن حفصون[3] .

أما في عهد الأمير عبدالله بن محمد ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٣م الذي تولى بعد أخيه المنذر فكانت سلطته ونفوذه لا تتعدى قرطبه وفي عصره اشتد ساعد المولدين في توحيد صفوفهم في الشمال والجنوب ضد الأمير عبدالله[4] .

وكانت أسرة بني قسي بقيادة زعيمها محمد بن لب قد اتجهت إلى حفصون في جيان للتفاق معه ولكن محمد بن لب نفسه سقط في ذلك الوقت قتيلا أمام اسوار

---

١ - سرطانية Cerdana إحدى المناطق الجبلية المجاورة لجبال البرتات بالأراضي الأسبانية - العذري : ترصيع ص١٥٢ .

٢ - العذرى : ترصيع ، ص٣١ -٣٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص١٥٢ - ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص١١٤ .

٣ - خالد الصومي : تاريخ العرب في أسبانيا ، ص٤٦ .

٤ - كانت أسر المولدين من بني موسى وبني عمرو وبني الطويل من الأسر المولده القوية يتحدون السلطة المركزية في الأندلس ويقاومونها ، وكانت ثورة ابن حفصون زعيم المولدين في الجنوب هي الشعلة التي تؤيد النزعة لثورية التي رفع المولدون لواءها ضد حكومة قرطبة ، وكان ابن حفصون يدعو المولدين ومن اليهم إلى الخروج والفوضى وتأييده بحجة الاستقلال والحرية فكان الجميع يحتشدون حوله يطيعونه ويتوددون إليه وأدى ذلك إلى تقوية نفوذه وسلطانه . انظر ابن عذارى : البيان جـ٢ ص١١٧ -١١٨ ، العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧١ .

سرقسطه[1] سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨ م أعطيت ولاية مدينة تطيله وطرسونه إلى ابنه لب الذي قام بدور كبير في مجاهدة نصارى الشمال وقضى على جيوش ملك ليون وناقار المتحالفة عند وادي برجه[2] وقتل الكثير منهم واستطاع أن ينفذ أسرى ، ويبدو أن هذا النصر الذي أحرزه لب على النصارى شجعه على مواصلة الجهاد وخاصة ضد إمارة النافار التي دخلت في عهد أمير جديد هو شانجه غرسيه الأول ٢٩٣ ـ ٣١٤هـ /٩٠٥ ـ ٩٢٦م .

وقد واصل لب بن محمد هذا بناء الحصون على طول جبهة النافار حيث حصن هرين ، فحجمع له ملك النافار ورجاله وعاونه في ذلك نصارى ليون والسرطانيون فوضعوا الكمائن له واستطاعوا قتله ومن كان معه في سنة ٢٩٤هـ / ٩٠٧م [3] .

وبعد مقتل لب بن محمد اعتقد الباسك أو ملك النافار أنه تخلص من غارات ولاة الثغر الأعلى ، على أن محمد بن عبدالملك الطويل زعيم أسرة بني الطويل مال إلى التعاون مع أسرة بني قسي بعد المصالحة بينهما عقب سنة ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م ووضعا الخطة المشتركة لمحاربة نافار وضربوا لهم موعد اللقاء عند بنبلونه العاصمة وسار كل في طريقه ، وفتح محمد الطويل عدة حصون للنافار ولما علم بتهيؤ ملك النافار لملاقاته تخاذل وهرب ، ولما بلغ هذا الأمر عبدالله بن محمد بن لب تراجع أيضاً بعد أن فتح الكثير من الحصون وسبي أهلها[4] وبذلك لم يتمكن ابن الطويل وابن قسي من احراز معركة حاسمة مع الباسك[5] .

---

١ ـ خالد الصوفي : تاريخ العرب في أسبانيا ، ص٤٦ .

٢ ـ برجه : حصن يقع إلى غربي مدينة طرسونه وهو غير مدينة التي تقع شمال شرقي الثغر ، السامرائي ، الثغر الأعلى ، ص١٧٦.

٣ ـ العذري : ترصيع ، ص٣٧ .

٤ ـ ابن حيان : المقتبس ، جـ٣ ، ص١٧ .

٥ ـ ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص١٤٨ .

رابعًا : علاقات خلفاء بني أمية مع الباسك :

خلال امارة عبدالرحمن الثالث وقبل اعلان الخلافة الأندلسية قام الأمير بدور كبير في مجاهدة النصارى ونخص منهم الباسك .

فلقد قام ملك النافار شانجة غرسيه الأول بمهاجمة مدينة تطيله ٣٠٢/٩١٦م وقتل خلقًا كثيرًا من أهلها قدروا بألف فارس[1] فتصدى له عبدالملك بن محمد بن لب ولحقه إلى جبل البردي (الذي يبعد ثمانية أميال عن النافار) وكان فيه كمائن للعدو فخرجت على عبدالله وأسر وتولى أمر تطيله أخوة مطرف ، ولكن محمد بن عبدالله قتل عمه مطرفًا وسيطر على المدينة فوقعت بذلك اضطرابات بين رجال هذه الأسرة أضعفت أمر هذا الثغر[2] .

ويلاحظ أن التعاون الذي تم بين ملك نافار وليون ٣٠١ ـ ٣١٢هـ /٩١٤ـ ٩٢٤م دفعهم إلى مهاجمة مدينة ناجرة Najera[3] ثم واصلوا إلى تطيله وهاجموا وادي طرسونه والحصون المجاوره ثم عبر ملك النافار نهر الابرو وهاجم حصن بلتيرهValterra (حصن تابع لمدينة تطيله ويقع إلى نهر الابرو وإلى الشمال منها) وفر أهله وأحرق المسجد الجامع ، كل هذه الحوادث دفعت الأمير عبدالرحمن الناصر إلى تجهيز الحملة المعروفة بغزوة مطونيه Mitonia بقيادة الحاجب بدر بن أحمد وذلك في سنة ٣٠٦هـ /٩١٨م وكتب الناصر إلى أهل الاطراف والثغور بالاشتراك في هذه الحملة لاخذ الثأر لمن قتل من ناحية ولرد النصارى في الثغر الأعلى من ناحية أخرى[4] .

سار القائد بدر مع جموع المسلمين المتوافدين وشاركت أسرة بني تجيب ، وساند بني الطويل النافار ضد المسلمين حيث حارب فرتون بن محمد الطويل بجانب ملك النافار واصابته الهزيمة كحلفائه .

---

١ ـ العذري : ترصيع ، ص١٨ .

٢ ـ العذري : المصدر السابق ، ص٣٨ .

٣ ـ حصن يقع على حدود البه والقلاع إلى المغرب من مدينة Logrona . انظر السامرائي : الثغر الأعلى ، ص١٧٩ .

٤ ـ ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص١٧٠ .

بعد أن اكتمل تجمع الجيش الإسلامي في الثغر الأعلى سار إلى بلاد النافار وافتتح الكثير من حصونها ثم واصل سيره إلى البه والقلاع لضرب نصارى ليون ، وأحرز الجيش الإسلامي نصراً حاسماً شفى صدور المسلمين بأخذ ثأر اخوانهم الذين استشهدوا سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م [١] .

استمر نصارى ليون والنافار يكررون الهجوم على منطقة الثغر الأعلى بسبب النصر الذي أحرز عليهم سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨م حيث قام ملك ليون اوردنيو الثاني بمهاجمة اطراف الأراضي الإسلامية ٣٠٧هـ / ٩١٩م ، ولأجل ذلك سار بنفسه إلى الشمال لضرب النصارى وأرسل كتبه إلى أطراف الأندلس لحثهم على الجهاد وتوافد إلى هذه الحملة التي سميت بغزوة مويش Muez نسبة إلى حصن في بلاد النافار[٢] وسار الناصر بالجيش من قرطبة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م ماراً بمدينة الفرج (وادي الحجارة)Guadalajara حيث عزل بني سالم عن ولايتها وعين لها عاملا جديداً ، ثم سار الناصر بجيشه إلى مدينة سالم وتظاهر بالمسير إلى الثغر إلا على كيدا للعدو ثم عرج إلى البه والقلاع ثم عبر نهر دويره إلى حصن أوسمه Osma وفتحه وغنم ما فيه وسار إلى حصن قاشتر مورش Castro moros وكان من أمنع حصون النصارى ، فلما رأى النصارى قدوم المسلمون هربوا فدخله المسلمون دون مقاومه وغنموا ما فيه[٣] ثم ختموا القبيلة ثم ساروا غرباً إلى قلونيه حيث هرب أهلها وغنم المسلمون ما فيها ، ثم سار الناصر بالجيش إلى مدينة تطيله لنجدة المسلمين هناك حيث هاجمهم ملك النافار فاستقبله بنو تجيب وشاركوه هذه الغزوة كما شاركت اسرة بني قسي في هذه الحملة وخاصة محمد بن عبدالله بن لب الذي كان عاملا على تطيله فاستعان الناصر بهم في فتح الكثير من الحصون ففتحوا حصن مكهرة الذي اتخذه ملك النافار مركزاً لمهاجمة مدن الثغر . فهرب منه ملك النافار لما علم بقدوم الجيش الإسلامي فدخله محمد ولحقه

---

١ ـ ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ٢ ، ص١٧٢ ـ ١٧٣ .

٢ ـ ابن القوطيه : تاريخ افتتاح ، ص١٣٠ ـ العذري ، ترصيع ، ٢٤ ـ ٤٩ ـ ابن الآبار : الحله ، جـ٢ ، ص٧٩ ـ ٨٠ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ١٧٨ ـ ١٧٩ .

٣ ـ ابن عذارى : نفس المصدر السابق ، ص١٧٣ .

الناصر وهدم جميع مباني الحصن[١] .

ثم عبر الناصر نهر الابرو إلى حصن دي شره Carcar[٢] فانتهز ملك النافار الفرصة فخرج من حصن ارنيط وهاجم جيش الإمارة ، ولكن تصدت له فرسان المسلمون وهزموه وقتلوا الكثير من رجاله ، وهنا لجأ ملك النافار إلى حليفه ملك ليون وتعاونا نحو مهاجمة المسلمين المتجهين صوب العاصمة نافار وجعلوا يتصايحون ويولولون ليضعفوا من قلوب المسلمين . فأمر الناصر بالنزول إلى سهل منبسط يسمى جونكيرا Junguera [٣] ـ ودارت معركة حامية بين الطرفين خسر فيها النصارى الكثير وأسر الجيش الإسلامي الكثير منهم ولجأ منهم إلى حصن مويش القريب فحاصره المسلمين وفتحوه ، ثم سار الناصر بجيشه إلى حصن للنافار مقابل لحصن بقيرViguera فهدمه ، ثم سار إلى حصن بقيره المشرف على حدود النافار واصلح حاله وتفقد حصون النصارى المجاورة لهم[٤] وكانت حملة موفقة لقنتهم درساً قاسياً وغنم المسلمون غنائم كبيره ، وأغدق الناصر على المحاربين الغنائم وواصل سيره إلى مدينة سالم ومنها لقرطبه وكان مدة غزوته تسعون يوماً[٥] .

وبالرغم من هذه الضربة القاسية التي نزلت بالنافاريين عام ٣٠٨هـ /٩٢٠م إلا أنهم عادوا إلى التحرش بحصون الثغر الأعلى المجاورة لهم ففي عام ٣١٠هـ / ٩٢٢م هاجم ملك نبره حصن بقيرة Viguera وأسر محمد بن عبدالله بن لب العشوي ومطرف بن موسى بن ذي النون وكثير من وجوه العرب والمولدين والبربر وسجنهم في بنبلونه ثم ذبحهم عن أخرهم وسقط حصن فجيره في يده[٦] .

وكان قتل هؤلاء الزعماء وسقوط فجيره سبباً في ثورة عارمة من أهل الأندلس

---

١ ـ ابن عذاري : البيان ، جـ٢ ، ص١٧٩ .Dozy: Spanish Islam .P.420-421.

٢ ـ حصن دي شره : حصن يقع مقابل حصن قلهره ويفصل بينهما نهر الأبرو . أنظر السامرائي : الثغر الأعلى ، ص١٨٣ .

٣ ـ منطقة تقع إلى غربي بنبلونه . أنظر عنان : دولة الإسلام ، جـ٢ ، ص٣٨٢ .

٤ ـ ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ١٧٩ .

٥ ـ السامرائي : الثغر الأعلى ، ص١٨٤ .

٦ ـ ابن عذاري ، جـ٢ ، ص١٨٠ ـ العذري : ترصيع ، ص٣٩ . .Dozy : opcil,422

جميعًا فرموا الناصر بالتهاون عن الدفاع وحماية أهل الثغور ، فعزم الناصر على الانتقام لهذه الحادثة واتجه بجيوشه على بمبلونه عاصمة نبره عام ٣١٢هـ /٩٢٤م وهي الغزوة المعروفة بغزوة بمبلونه ومر الناصر في طريقه بكورة تدمير وبلنسيه وقضى على الثوار الموجودين هناك ، ثم دخل تطيله وخرج إليه بنو تجيب وغيرهم من عمال الثغر في أعداد كبيرة فاتجهوا جميعًا إلى حصن Carcer قلقره فأخلاه شانجه وانتقل الناصر إلى حصن ببطره آلته Peratla وحصن فالكجش Falces وقرقشتال Carcasillaes على وادي ارغون وحطمها وأحرق أرياضها وسبى أهلها[1] ثم اخترق الناصر فج الموكوير باتجاه بنبلون واستولى في طريقه على قرية بشكونه مسقط رأس شانجه واسرته وأحرقها واجتاز الناصر ممرات جبلية ضيقة وعره حاول فيها شانجة التصدي للمسلمين لكنه أصيب بهزيمه قاسية ووصل المسلمون إلى بمبلونه فوجدها خالية مقفره، قد فرغها سكانها فأمر الناصر بهدم مبانيها وتخريبها وتلقى شانجة مساعدة من قشتالة لمهاجمة الجيش الإسلامي أثناء عودته مرتين مرة عند شنت اشتبين والأخرى عند قلهره إلا أن المسلمين هزموهم واستولوا على حصن قلهره وهدموه ، ثم دخلوا الأراضي الإسلامية عند حصن بلتيره وعاد الناصر بعد أن دمر بمبلونه وسحق قواتها واخضع حكامها وكانت مدة غزوته هذه أربعة أشهر[2] .

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر وفي عام ٣٥٢هـ / ٩٦٣م أرسل جيشًا بقيادة يحيى بن محمد التجيبي حاكم سرقسطه في اتجاه نافار وكان ملكها غرسيه سانشير قد أغار على الأراضي الإسلامية ناكثًا لعهدة ، وهرع حليفه سانشو ملك ليون لانجاده ونشبت بينهما موقعه هزم فيها النصارى وامتنعوا بالجبال ، وفي نفس الوقت سار القائد غالب مولى الحكم جيش إلى مدينة قلهره فافتتحها وحصنها وجهزها بالرجال وكان فتحًا عظيمًا ، ثم سار حاكم مدينة وشقه في قواته شمالا نحو أراضي نافار مما يلي جبال البرتات واستولى على حصنه يبه وجتاح تلك المنطقة وغنم ما فيها

---

١ ـ ابن عذاري ، جـ٢ ، ص١٨٠ . Dozy : opcil,P.422.

٢ ـ ابن عذارى : البيان ، جـ٢ ، ص١٨٩ ـ ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبدالرحمن الحجي ، ص٢٣٦ .

من السلاح والأقوات والماشية واستغرقت هذه الفتوحات الصائفة سنتي ٣٥٢ـ ٣٥٣هـ/٩٦٣ ـ ٩٦٤م[١] .

ثم تحولت العلاقات بعد ذلك إلى علاقات سليمة فقامت سفارات بين المستنصر والنصارى فبعد وفاة غرسيه سانشير وتولى عرش نافار سانشو غرسيه الثاني . وكان سانشو هذا من ضمن الوفود التي وصلت إلى قرطبه مع جماعه من القوامس والأساقفة يسألون الحكم المستنصر الصلح فأجابهم إلى ما طلبوا[٢] .

وكانت معظم سفارات النصارى تهدف إلى عقد السلم والمودة مع خليفة الأندلس وتقديم الطاعة وطلب العون[٣] .

واستمرت المهادنة حتى انشغال الحكم المستنصر بحرب الادارسه فانتهز الفرصة في شعبان من عام ٣٦٤هـ / ٩٧٥م فقاموا بإعداد جيش مشترك من الجلالقة والقشتاليين والباسك لمهاجمة حصن غرماج الواقع على نهر دويره ونشبت بينهم وبين المسلمين حرب عنيفة ، وأرسل المستنصر قائده غالب الناصري في قوة مختارة وبعث الحاكم الأموال اللازمة للإنفاق على الصائفة واستمر حصار المسلمين لهم مدة طويلة استطاعوا ف يالنهاية تبديد شملهم وهزيمتهم[٤] .

وهكذا تباينت علاقة المسلمين بالباسك من حرب ضروس إلى حالة من المودة والموادعة وتبادل السفارات بين الطرفين ، ويكفي أن نذكر أن الخليفة الحكم المستنصر قد تزوج بإمرأة من الباسك اطلق عليها اسم (صبح النافارية) وكانت أم ولده عبد الرحمن (رحمه الله) ثم هشام ولي عهده ، وكانت من أقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه[٥] .

---

١ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١٤٥ .

٢ ـ ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص١٤٦ .

٣ ـ ابن حيان : المقتبس ، تحقيق الحجي ، ص٤٤١ ـ ٤٤٢ .

٤ ـ ابن حيان : نفس المصدر السابق ، ص٢١٨ ـ ٢١٩ .

٥ ـ ابن حيان : نفس المصدر السابق ، ص٧٧ ، عنان : دولة الإسلام ، جـ٢ ، ص٥٠٣ .

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة عن الباسك نشير إلى أهم النتائج التي انتهى اليها البحث :-

١ - إن الباسك هم الشعب الوحيد دون سائر الشعوب الذين تمكنوا من البقاء ومقاومة الاندماج والابقاء على لغة منعزلة في أصولها وشخصيتها اللغوية عن اللغات الحية في القارة الأوروبية .

٢ - فشل الباسك في تطوير وحدتهم السياسية وكان السبب الرئيسي في ذلك ميلهم إلى العزلة وعدم الاختلاط وانغلاقهم مما أدى إلى توحشهم وسوء أخلاقهم .

٣ - تعتبر مدينتا بمبلونه وكالاهور من أهم المدن في تاريخ الباسك والتي كان لها دور عظيم منذ وجود الرومان إلى أيام فتح المسلمين لشبه الجزيرة الأيبيرية .

٤ - برز دور الباسك في القرنين التاسع والعاشر الميلادي ومحاولاتهم المحدودة في الاختلاط بجيرانهم من جليقية وليون والفرنجة والمسلمين .

٥ - دور المسيحية واختراقها منطقة الباسك عن طريق رجال الدين ومحاولة تطويرهم لنشر الديانة المسيحية وبناء الأديرة في مناطق تواجدهم .

٦ - العثور على صك ازنار والذي كان له الأثر في القاء الضوء على بعض ممارستهم الاقتصادية والإجتماعية القديمة في المجتمع الباسكي وعلى الطرق الجديدة في التفكير واشكال التنظيمات الإجتماعية السائدة بينهم .

٧ - اختلاف وتباين العلاقات الباسكية بجيرانها من جليقية وليون والفرنجة والمسلمين تبعاً لما تمليه عليهم مصالحهم السياسية والإجتماعية من توحد وقتال وسلام وحرب.

٨ - دور ولاة بني أمية منذ الفترة المبكرة للفتوح الإسلامية وما تمخض عنه من فترات

تراوحت بين الحرب والسلام والمهادنة وتبادل السفارات مما كان له أكبر الأثر في بعض التغير في ذلك المجتمع البربري المتوحش المنعزل .

٩ ـ استئناف الخلفاء المسلمين في عهد عبدالرحمن الناصر وابنه الخليفة الحكم المستنصر في توطيد العلاقات بينهم وبين الباسك والتي تحولت بعد الحروب إلى سلم في عهد المستنصر حينما قدم الأمير سانشو غرسيه الثاني إلى عاصمة الخلافة لعقد سلم وصلح وموادعه وتقديم الطاعة وطلب العون .

١٠ ـ زواج الحكم المستنصر خليفة الأندلس بامرأة من الباسك سميت بـ (صبح النافارية) .

**** المصادر العربية :ـ**

ابن الأبار عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨هـ /١٢٦٠م) .

الحلة السيراء : تحقيق حسين مؤنس ـ نشر الشركة العربية للطباعة والنشر ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتاب العربي ـ جزءان ١٩٦٣م .

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الجزر (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) .

الكامل في التاريخ : الطبعة الثانية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ تسعة أجزاء ـ ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م .

البكري ، عبدالله بن العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو ، أبو عبيد البكري (ت٤٨٧هـ / ١٠٩٤ م) .

جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب (المسالك والمالك) تحقيق د / عبدالرحمن ابن علي الحجي ، ساعد المجمع العلمي العراقي على نشر الطبعة الأولى ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م .

ابن حزم ابو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ /١٠٦٤م) .

جمهرة انساب العرب ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ دار المعارف الطبعة الرابعة ـ القاهرة .

الحميري عبدالمنعم السبتي الحميري (ت ٥٩٠هـ / ١٠٩٤م) .

الروض المعطار في خبر الأقطار ـ تحقيق احسان عباس ـ الطبعة الثانية مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤م .

أبن حيان أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٧م)

المقتبس في أخبار بلد الأندلس ـ جـ٢ ، تحقيق الدكتور/ محمود علي مكي دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ١٩٧٣ .

المقتبس : جزء مختص بخمس سنوات من حكم الخليفة المستنصر ، تحقيق عبدالرحمن الحجي ، بيروت ، ١٩٦٥ .

ابن الخطيب لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبدالله (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام (القسم الثاني ـ تاريخ اسبانيا الإسلامية) تحقيق وتعليق أ ـ ليفي بروفنسال دار المكشوف ـ الطبعة الثانية ـ لبنان ١٩٥٦م .

ابن خلدون أبو زيد عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) .

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ سبعة أجزاء .

ابن عبدربه الأندلسي (ت ٣٣٦هـ / ٩٤٨م)

العقد الفريد ، طبع مصر ـ ١٢٩٣م .

ابن عذارى : أبو عبدالله محمد المراكشي ابن عذارى (من كتاب القرن ٧هـ).

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ جزءان تحقيق ومراجعة ج . س . كولان . وليفي بروفنسال ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان .

العذري : أحمد بن عمرو بن شمس المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبدالعزيز الأهواني مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦٥م .

ابن غالب محمد بن أيوب بن غالب الغرناطي (ت ٥٧١هـ / ١٠٧٦ م) .

نص أندلسي جديد ـ قطعة من كتابَ فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة ـ تحقيق لطفي عبدالبديع ـ مدريد ١٩٥٦م .

الغساني : محمد بن عبدالوهاب الغساني (ت ١١١٩ هـ) .

رحلة الوزير في افتكاك الأسير ـ تقديم الفريد البستاني ـ دار الكتب الوطنية ـ منشورات موسسة الجنرال فرانكو ـ تطوان .

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) .

صبح الأعشى في صناعة الانشا ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ الموسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

ابن القوطية : أبو بكر محمد المعروف بابن القوطية (ت ٣٦٧هـ/٩٧٨م).

تاريخ افتتاح الأندلس ـ تحقيق عبدالله أنيس الطباع ١٩٥٨م .

المقري ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ).

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ـ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ـ مجريط ـ مطبعة ربدنير ـ ١٨٦٧ م) .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٢٢هـ / ١٣٣٢م) .

نهاية الأرب في فنون الأدب ـ تحقيق علي محمد البيجاوي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

** المراجع العربية :ـ

١ ـ أجمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ـ مؤسسة الثقافة الجامعية الأسكندرية .

٢ ـ جوزيف رينو : الفتوحات الإسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي ، تعريب إسماعيل العربي ـ الطبع الأولى ١٩٨٤م .

٣ ـ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٩٥٩م .

٤ ـ خالد الصوفي : حضارة العرب في الأندلس ، دار الحرية ، بغداد ١٣٩٧هـ.

٥ ـ خليل إبراهيم السامراني : الثغر الأعلى الأندلسي ـ مطبعة أسعد بغداد ١٩٢٦م .

٦ ـ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ١٩٨٧م .

٧ ـ رجب عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ـ دار الكتب الإسلامية ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت .

٨ ـ سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ط ١٠ ـ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٦م .

٩ ـ السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس ـ دار النهضة ـ بيروت ١٩٨١م .

١٠ ـ شكيب ارسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت لبنان .

١١ ـ شكيب ارسلان : غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لنبان .

١٢ ـ عبدالرحمن علي الحجي : أندلسيات جـ٢ بيروت ١٩٦٩م .

١٣ ـ التاريخ الأندلسي ـ دار القلم ـ بيروت ـ دار القلم ـ الكويت ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ .

١٤ ـ عبد المحسن رمضارن : تاريخ حركة المقاومة الأسبانية ضد المسلمين في الأندلس

ـ جـ١ مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس ١٩٨٧م .

١٥ ـ محمد عبدالله عنان : الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ـ مؤسسة الخانجي ـ مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ـ جـ٢١ ـ ١٩٦١م .

١٦ ـ دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر ـ مكتبة الخانجي ـ الطبعة الرابعة ـ القاهرة ـ ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ـ مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة والآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ـ مؤسسة الخانجي ط ٢ ـ ١٩٦١م .

١٧ ـ محمد مرسي الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي ـ مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ـ ١٩٨١م.

١٨ ـ محمد كرد علي : غابر الأندلس ـ الطبعة الأولى ـ مصر ١٩٢٣م .

١٩ ـ وفاء المزروع : جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأولى إلى الخامس الهجري ـ رسالة دكتوراه ـ تحت الطبع .

٢٠ ـ وفاء المزروع : الخليف الأموي المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ) الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جده .

**** المقالات والبحوث :ـ**

حسين مؤنس : بلاي وميلاد اشتوريش ـ مجلة كلية الأداب جامعة فؤاد الأول مجلد ١١ ط١ ـ القاهرة ١٩٤٩م .

1 - Charles champan : Ahistory of Spain
Founded on the Historia de Espanay de la crviligaci
on Espanalsa of Altamira - U . S . A .1931 .

2 - Danesly : Ahistory of Early madieval Europe . London .1956.

3 - Dozy : Ahistory of the moslems is Spain - London .1913 .

4 - Howard Gardner : Abook of the Basques - New york . 1987 .

5 - Roger Collins : The Basaues U . S . A . N ew york . 1987 .

6 - Sherwani Haroon Khan .
Muslim colonis in France, Northern Italy and Switzer land - Lahore . 1964 .

7 - Lewis : Ber nard :

Islamin history , (London , 1973) .

8 - Liver more (Harold) A history of Spain , London -1958 .

Pirenne , H . Hhistory of Europe (Eng - Trand) London 1961 .

9 - Pirenne , H., Mohammed and Charle magne London 1954 .

10-Moor, W . G., The Penguin Encyclo pedia of places Great Britain . 1978 .

11-Cambrdge Medieval History . 6 Vols., camgridge 1936 - 1948 .

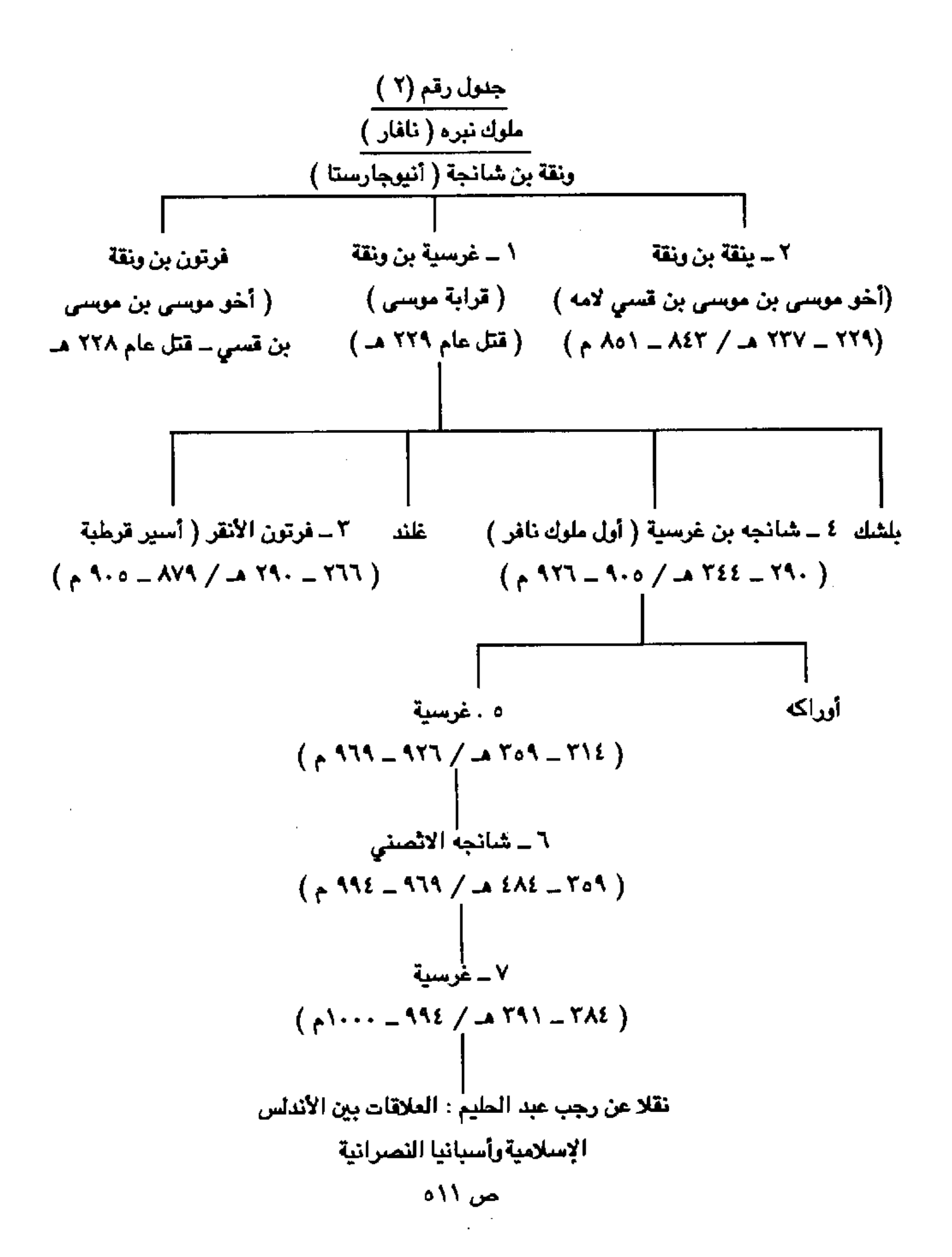
12 - Stephenson , C., Medieval History - Washington 1944 .

جدول رقم (١)

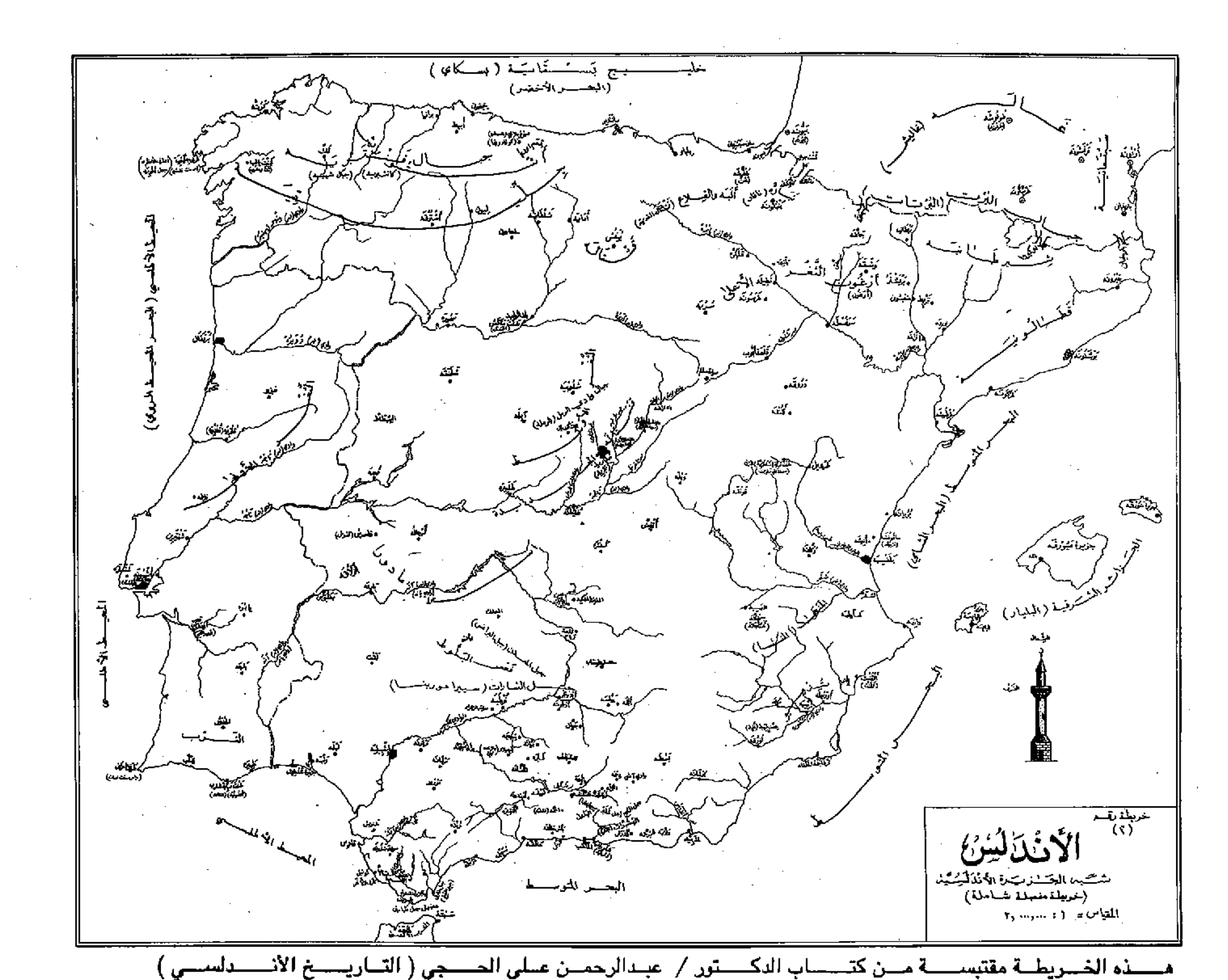
ملوك نبره (نافار) .

١ ـ فاسكوVelasco	من عام ١٨٣هـ / ٧٩٨م .
٢ ـ ازوارAzur	٢٢١هـ / ٨٣٦م .
٣ ـ شانجه	٢٢١Sanchoهـ / ٨٣٦م .
٤ ـ غرسيه بن ونقه	Garciai bn Wannago

نقلا عن خليل السامرائي : الثغر الأعلى ص١٦٠ ، ١٦١.



نقلا عن رجب عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس
الإسلامية وأسبانيا النصرانية
ص ٥١١



هذه الخريطة مقتبسة من كتاب الدكتور / عبدالرحمن علي الحجي (التاريخ الأندلسي)

المحتوى

مطابع جامعة أم القرى